
المتربصون بالأمة .. وتفنيد الأزهر لدعاويهم الباطلة
التوحيد
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٥٦٨ السنة الثامنة والأربعون ربيع الآخر ١٤٤٠هـ
الثمن ٢ جنيهات
فضل حمَلة
القرآن الكريم
قصة
منكري
السنة
السنة النبوية
القرآن الكريم
سقوط غرناطة
السحر وفسخ الخطوبات
المسح على الجوارب والخفاف .. سنة نبوية وسمة منهجية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾

رئيس مجلس الإدارة

أ.د. عبد الله شاكر الجنيدي



صاحبة الامتياز

جمعية أنصار السنة المحمدية

المشرف العام

د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية

جمال عبد الرحمن

معاوية محمد هيكل

د. مرزوق محمد مرزوق

محمد عبد العزيز السيد

إدارة التحرير

٨ شارع قولة عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

المركز العام

WWW.ANSARALSONNA.COM
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦ - ٢٣٩١٥٤٥٦

البريد الإلكتروني

MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير

GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧

ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM



من علامات النبوة الإخبار بمنكري السُّنَّة

من دلائل وعلامات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أنه يُخبر بأشياء غيبية مستقبلية؛ فتقع كما أخبر، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «ألا إني أوتيتُ الكتاب وما يعدله». وفي رواية: «ومثله معه» وهي السنة. ثم قال: «يوشك رجل شبعان (يعني: سيأتي ناس من أهل الترف)، على أريكته (من أهل الراحة والاسترخاء) يقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه من حلال حلَّلْناه، وما فيه من حرام حرمناه، ألا وإنه ليس كذلك» (يعني: هم كاذبون). ثم بيَّن الرسول عليه السلام أنه حرم أشياء في سنته، وحرَّمها المسلمون تبعًا لذلك، ولم يرد تحريمها في القرآن، فقال: «ألا لا يحل ذو ناب من السباع، ولا الحمار الأهلي».

فإذا كان هؤلاء يرفضون السنة اكتفاءً بالقرآن، فغالب الظن أنهم «شبعوا» - كما في الحديث- من لحوم الذئاب والكلاب، واحْتَسَوْا الكثير من مرق البغال ولحوم الحمير.

التحرير

مطابع الأهرام التجارية قليوب - مصر

رئيس التحرير:
جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني:
حسين عطا القراط

في هذا العدد



سكرتير التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ١٠٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد . على مكتب بريد عابدين ، مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون.

٢- في الخارج ٣٠ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودي أو مايعادلها.

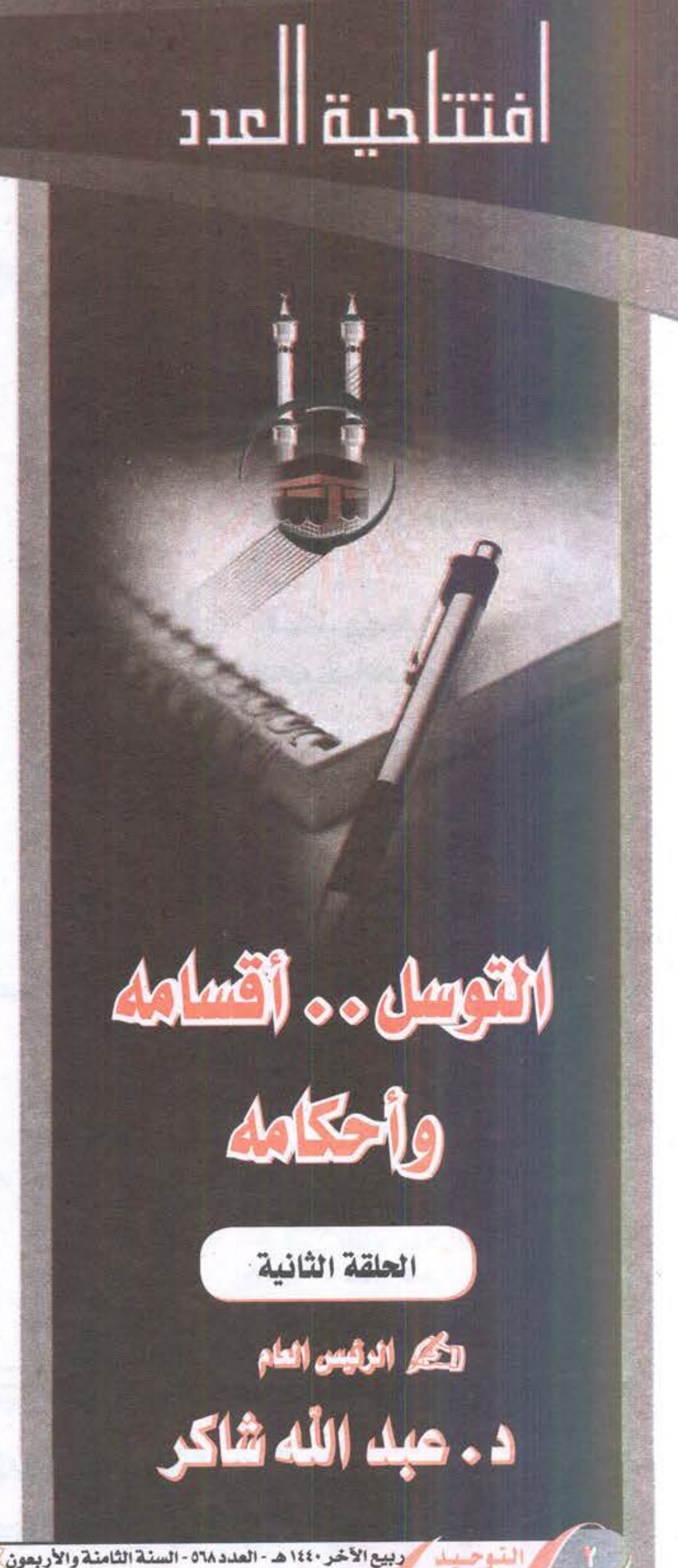
ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة . باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة حساب رقم / ١٩١٥٩٠

ثمن النسخة

مصر ٣٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو

١٠٥٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و ٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن .

منفذ البيع الوحيد بمقر مجلة التوحيد الدور السابع



التوسل .. أقسامه وأحكامه

الحلقة الثانية

بقلم الرئيس العام
د. عبد الله شاكر

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيد ولد آدم أجمعين، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديهم إلى أن يقوم الناس لله رب العالمين، وبعد:

فقد ذكرت في اللقاء السابق صورتين من أنواع التوسل الجائز المشروع، وأواصل بحمد الله وتوفيقه الحديث حول هذا الموضوع فأقول:

٣- التوسل إلى الله تعالى، بالإيمان به والتسليم له تبارك وتعالى، في كل ما أمر به:

وقد جاء هذا التوسل صريحًا في القرآن الكريم، وكان معلومًا في الأمم السابقة، فالحواريون الذين آمنوا بعيسى ابن مريم وتابعوه على الإيمان بالله، توسلوا بهذا الإيمان إلى الله تعالى، كما قال الله عنهم في كتابه: « فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ » (آل عمران: ٥٢، ٥٣).

ومثله ما جاء في قوله تعالى عن المؤمنين الصادقين: « رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ » (آل عمران: ١٩٣، ١٩٤)، فهؤلاء المؤمنون تقرَّبوا وتوسَّلوا إلى الله تعالى بإيمانهم لما سمعوا الداعي إلى ذلك، ثم طلبوا من ربهم من خيري الدنيا والآخرة.

قال الشيخ أبو بكر الجزائري رحمه الله: «والمنادي هو القرآن الكريم والرسول صلى الله عليه وسلم، وتوسلوا بإيمانهم لربهم طالبين أشرف المطالب وأسماها: مغفرة ذنوبهم ووفاتهم مع الأبرار، كما سألوا ربهم أن يعطيهم ما وعدهم على ألسنة رسله من النصر والتمكين في الأرض، هذا في الدنيا، وألا يخزيهم يوم القيامة بتعذيبهم في النار».

(انظر: أيسر التفاسير ١/٤٢٧).

٤- التوسل إلى الله تعالى بدعاء المؤمن الصالح لأخيه:

وذلك بأن يقول الرجل لمن يظن صلاحه: "ادعُ الله لي"، وهو جائز مشروع بشرط أن يكون حيًا حاضرًا، ومن ذلك طلب أبناء يعقوب من أبيهم أن يستغفر لهم، كما جاء في قوله تعالى: «قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ» (يوسف: ٩٧، ٩٨)، فهؤلاء ارتكبوا ذنبًا كبيرًا، وأخطؤوا في حق أبيهم وأخيهم، ولذلك طلبوا من أبيهم وهو النبي الرسول أن يدعوا الله لهم ليغفر لهم ذنوبهم.

قال ابن جرير رحمه الله: «قال وَلَدُ يعقوب الذين كانوا فرَّقوا بينه وبين يوسف: يا أبانا سَلْ لنا ربك يَعْفُ عنا ويستر علينا ذنوبنا التي أذنبناها فيك وفي يوسف، فلا يعاقبنا بها يوم القيامة؛ إنا كنا خاطئين فيما فعلنا به، فقد اعترفنا بذنوبنا، قال: سوف أستغفر لكم ربي». (تفسير الطبري ج١٣/٤٢).

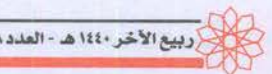
وقد كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يأتونه ويطلبون منه أن يدعو الله لهم، فيدعو فتُقضَى حاجاتهم بسبب هذا الدعاء؛ لأنه وسيلة مشروعة، فكم مرة توسلوا بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم أن يُغيثهم، وكان يفعل فيستجيب الله تعالى وينزل عليهم المطر، كما في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً دخل يوم الجمعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب، فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائمًا، فقال: يا رسول الله، هلكت المواشي، وانقطعت السبل، فادع الله أن يغيثنا، قال: فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه، فقال: «اللهم اسقنا، اللهم اسقنا، اللهم اسقنا». قال أنس: والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة ولا شيئًا، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار، قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت، ثم أمطرت، قال: والله ما رأينا الشمس سبتًا، ثم دخل رجل من الباب في الجمعة المقبلة- ورسول الله قائم يخطب- فاستقبله قائمًا، فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله أن يمسكها. قال: فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه، ثم قال: اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والظراب والأودية ومنابت الشجر. قال: فانقطعت وخرجنا نمشي في الشمس. قال شريك: فسألت أنسًا: أهو الرجل الأول؟ قال: لا أدري». (البخاري: ١٠١٣، ومسلم: ٨٩٧).

وقد ذكر ابن حجر رحمه الله فوائد كثيرة تضمَّنها هذا الحديث، ومنها: أن فيه علمًا من أعلام النبوة؛ في إجابة الله دعاء نبيه عليه الصلاة والسلام، وفيه الأدب في الدعاء حيث لم يدعُ برفع المطر مطلقًا لاحتمال الاحتياج إلى استمراره، فاحترز فيه بما يقتضي رفع الضرر وإبقاء النفع. (فتح الباري: ٢/٥٠٧).

وفي الصحيحين أن امرأة كانت تُصْرَع على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فأتت النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: إني أُصْرَع، وإني أتكشف، فادع الله لي، قال: إن شئت صبرتِ ولكِ الجنة، وإن شئت دعوتُ الله أن يعافيكِ، فقالت: أصبر، وقالت: إني أتكشف، فادع الله أن لا أتكشف، فدعا لها. (البخاري: ٥٦٥٢، ومسلم: ٢٥٧٦).

وما زال المسلمون يتوسلون بدعاء بعضهم بعضًا، ويدل على ذلك ما جاء في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكَّل، كلما دعا لأخيه بخير، قال الملك الموكَّل به: آمين، ولك بمثل». (مسلم: ٢٧٣٣).

وأنبِّه هنا: على أنه ينبغي الإخلاص لله في الدعاء، وأن يحرص الداعي على الأدعية القرآنية والنبوية؛ لأنها أقرب للإجابة لاشتمالها على الخير العظيم، ومن التزمها



سلم من الوقوع في المحذور.

ثانيًا: التوسل الممنوع:

هو الذي لم يَردْ في النصوص الشرعيَّة ما يدل على مشروعيته، ويمكن أن يقال: كل ما خرج عن الجائز المشروع فهو الممنوع، وقد سبق بالأدلة ذكر أنواع التوسل المشروع، ومن أمثلة الباطل الممنوع: التوسل إلى الله تعالى بذات نبيَ، أو عبد صالح، أو الاستغاثة به، كقول القائل: اللهم إني أسألك بذات آدم أن تغفر لي وترحمني، أو يا سيدي فلانًا خذ بيدي، أو أنا في حماك، ومن الممنوع التوسل بجاه الأنبياء والصالحين، أو بقبورهم، وهذا لا يدل على نقص مكانتهم، أو جاههم، فمكانتهم وجاههم عند الله عظيم، ولكن جاههم منزلة لهم خاصة بهم، وهم يشفعون في حياتهم في الدنيا، وفي الآخرة بأمر ربهم.

قال ابن تيمية رحمه الله: «التوسل إلى الله بالنبيين هو التوسل بالإيمان بهم وبطاعتهم، كالصلاة والسلام عليهم، ومحبتهم وموالاتهم، أو بدعائهم وشفاعتهم، وأما نفس ذواتهم فليس فيها ما يقتضي حصول مطلوب العبد، وإن كان لهم الجاه العظيم والمنزلة العالية بسبب إكرام الله لهم وإحسانه إليهم وفضله عليهم». (مجموع الفتاوى ١٣٢/٢٧، ١٣٣).

وقال أيضًا: «ومحمد صلى الله عليه وسلم أعظم جاهًا من جميع الأنبياء والمرسلين، لكن شفاعته ودعاءه إنما ينتفع به من شفع له الرسول صلى الله عليه وسلم ودعا له». (المصدر السابق ج١٤٣/١).

وقال الشيخ محمد عبد السلام الشقيري رحمه الله: «التوسل بحق النبي أو الولي أو بجاهه أو بركته، أو بحق قبره أو قبته مذموم منهي عنه بلا نزاع». (القول الجلي في حكم التوسل بالنبي والولي ص٥٥).

وقال الشيخ الألباني رحمه الله: «إن جريان عمل الصحابة على ترك التوسل بذاته صلى الله عليه وسلم عند نزول الشدائد بهم، بعد أن كانوا لا يتوسلون بغيره صلى الله عليه وسلم في حياته، لَهُوَ من أكبر الأدلة الواضحة على أن التوسُّل بذاته صلى الله عليه وسلم غير مشروع، وإلا لنُقل ذلك عنهم من طرق كثيرة في حوادث متعدِّدة». (التوسل أنواعه وأحكامه ص٧٤).

وقد اعتبر الشيخ عبد الرحمن الوكيل رحمه الله هذه التوسلات البدعية، مخالفة لعقيدة الإسلام، وناقش بعض المجيزين لها في مقالات متعددة، ومنها مقال بمجلة الهدي النبوي بعنوان: «لتتبعن سنن من كان قبلكم». وفيه يقول: «إن التوسل بالأولياء وقبورهم ليس من الإسلام، فـ«جولد زيهر» في كتابه «تطور العقيدة والشريعة»، و«ليون جوتييه» في كتابه «المدخل إلى الفلسفة»، و«غوستاف لبون» في كتابه «تطور الحضارة» أجمعوا على أن عقيدة التوحيد جلية تمام الجلاء في القرآن، وعلى أن تقديس الأولياء والتوسل بهم وبقبورهم مخالف لروح الإسلام، فما رأي فضيلة الأستاذ الشيخ حسن البنا، المرشد العام للإخوان المسلمين، الذي كتب في مذكراته عن الدعوة والداعية أن التوسل بالأولياء مسألة خلافية كقراءة الفاتحة أو عدمها بين الحنفية والشافعية، وأنها لا يجوز أن تفرق بين المسلم وأخيه...، ألا يرى فضيلته أن قوله هذا ونشره في جريدته السيارة يودي بكثير من عقائد الإخوان الذين يرون أن ما ينطق به الأستاذ لا ينطقه عن هوى». (انظر: مجلة الهدي النبوي، العدد العاشر من المجلد الثاني عشر عام ١٣٦٧هـ).

وبعد ذكري لأنواع التوسل المبتدع-باختصار- أقول للذين يذهبون إليه: لماذا تتركون التوسل المشروع الثابت في الكتاب والسنة، وأجمع عليه علماء الأمة، ولم يختلف فيه أحد؟ وتذهبون إلى توسلات بدعية ما أنزل الله بها من سلطان؟!

إن الواجب على المسلم الذي يحب الله ورسوله أن يسير على منهج النبوة، وألا يخرج على الوارد في الكتاب والسنة.

وفقنا الله لهداه، وللحديث صلة بإذن الله.

كلمة التحرير

المتربصون بالأمة.. وتفنيد الأزهر لدعاويهم الباطلة

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى، وبعدُ:

تأتي الهجمة الشرسة على الشريعة الإسلامية، متزامنة مع ما يُراد للأمة ويُدبَّر لها في الخفاء والعلن؛ من الضربات الموجعة التي تتلقاها الأمة في كثير من مواطن جسدها، فتنزف وتتألم، وتُنْتَهك أراضيها، ويُباع ويُشترى في شعوبها، وتُستنزف ثرواتها، والعالم كله من حولها يُخطط ويتآمر، ويتجاسر عليها من أجل تفتيت أراضيها، وعودة سيطرته الاستعمارية عليها من جديد، حتى وإن اختلفت الوسائل والأشكال.

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

وفي نفس الوقت يخرج علينا مَن يكمل خطط الغرب الخبيثة امتثالا لأفكاره ورضا بمناهجه، وهم شرذمة يريدون هدم الأمة، والتشكيك في ثوابتها، ومحاولة زعزعة شريعتها من الداخل والخارج، ممن ينتسبون إلينا ويُحسبون علينا، من الدول والأشخاص، فها هي تونس الخضراء- إلا في إسلامها- تخرج علينا بقانون يتم تشريعه للمساواة بين الرجل والمرأة في الميراث، وإباحة تزويج المسلمة بغير المسلم من كافة الملل والنحل، وخروج أصوات ممن ينتسبون إلى الأزهر الشريف، وقد اعتادوا على إثارة الزوابع والفتن فيما يلقونه من آراء من آن لآخر لشغل المسلمين بالشاذ من الآراء الفقهية، وهبَّة الأزهر الشريف لتفنيد تلك الدعاوى الباطلة ممن يسمون أنفسهم ظلمًا وزورًا بـ«القرآنيين» من منكري السنة، وردّ فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر عليهم، وتوضيح منهجهم وفكرهم الضال وخطورة أثره على الأمة، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

مواجهة بين الأزهر والمنادين بالمساواة

في خضم ما تقوم به تونس في الآونة الأخيرة منذ إعلان الرئيس التونسي «قائد السبسي» عن تعديل لقانون الأحوال الشخصية في المادة المتعلقة بالميراث، وذلك بتعديل تلك المادة والنص فيها على المساواة بين الرجل والمرأة في الميراث، مدَّعين أن في ذلك إنصافًا للمرأة، وقد وافق مجلس الوزراء التونسي على مشروع القرار الذي شمل فقرة حول إباحة زواج المسلمة بغير المسلم من أصحاب الديانات المسيحية واليهودية، وتم إحالة القرارات المعدلة للبرلمان لإقرارها حتى تصبح نافذة.

وقد تلقَّى المسلمون في شتَّى بقاع الأرض هذه القرارات بالدهشة والرفض والشعور بالصدمة؛ وفي المقابل خرجت بعض الآراء المؤيدة لمشروع القرار، وانتقل الجدل إلى مصر، وخرج علينا نفرٌ ممن اعتاد إثارة الزوابع بما يصدره من آراء فقهية شاذة تثير اللغط بين المسلمين، مخالفًا لثوابت الشريعة ولما يصدره الأزهر الشريف ويعتقده بكل هيئاته ومجالسه، وخاصة هيئة كبار علماء بالأزهر، برئاسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر، حفظه الله.

وجاء الجدل والمواجهة بين الدكتور سعد الدين الهلالي، أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر، وهيئات ومجالس ومجامع الأزهر الشريف بعد إعلان تأييده لقرار المساواة بين الرجل والمرأة في الميراث، والذي أقرته الحكومة التونسية بشكل مبدئي، مضيفا أن القرار التونسي بشأن المساواة في الميراث صحيح فقهيًا، مشيرًا إلى موافقة بعض الشيوخ في تونس على هذا القرار، متوقعًا أن تتخذ مصر مثل هذا القرار بعد عشرين عامًا أو ثلاثين من الآن!!

وقد أثار القرار التونسي الذي أيده الهلالي أصداءً واسعة داخل أروقة الأزهر الشريف، واصفًا ما صدَر عن الهلالي بأنه استمرار لمسلسل فتاواه الشاذة والمثيرة للجدل، وأن الشريعة الإسلامية قد تميزت بصلاحيتها لكل زمان ومكان، ومراعاتها لجميع أحوال الناس على تنوعهم واختلافهم، نظرًا لما تمتعت به من مرونة، ولكن تلك المرونة ليست سمة لجميع نصوص الشريعة، فبعضها ثابت راسخ لا مجال للاجتهاد فيه؛ كالنصوص التي تُقرر جوانب العقيدة والعبادات والأخلاق، وإن النصوص المتعلقة بتشريع الميراث في الإسلام لمن هذا القسم الذي لا يقبل الاجتهاد أو التغيير، فقد تولى الله عز وجل وضع أسسه وضوابطه بنفسه، لأهميته وعظم خطره، فلا يخفى على أحد أن الظلم في الميراث ربما يتعدَّى لأجيال متتابعة، أو تُقطع لأجله الأرحام، بل وقد تُرتكب بدافعه الجرائم، مشددًا على ضرورة التفرقة بين العدالة والمساواة، لتصحيح مغالطة تدَّعي أن لا فرق بينهما، أو بصيغة أخرى تدعي أن تحقيق العدالة يتوقف على تحقيق المساواة، والصواب أن العدل لا يقتضي التسوية، فقد تعدل بين شخصين دون أن تسوِّي بينهما؛ لأن العدل هو وضع الشيء في موضعه مع مراعاة الحال.

ردود الأزهر على الدكتور سعد الدين الهلالي

توالت ردود الأفعال الغاضبة، وكان الرد الأول من قِبَل جامعة الأزهر؛ حيث أكد الدكتور أحمد زارع المتحدث الإعلامي لجامعة الأزهر: أن الدكتور سعد الهلالي عبَّر عن رأيه الشخصي، وأنه لا يُمثِّل الجامعة فيما أدلى به من تصريحات عن المساواة بين الرجل والمرأة في الميراث، مشيرًا إلى أن الأزهر قد أكد في بيان سابق أنه لا يجوز الاجتهاد في المسائل التي ورد فيها نص شرعي.

وفي أغسطس عام ٢٠١٧م أعلن الأزهر رفضه القاطع لدعوة الرئيس التونسي بالمساواة في الميراث بين الرجل والمرأة، ودعوته بالسماح بالزواج من غير المسلمين!!

وكذلك استنكر فضيلة الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب الفتاوى والآراء التي تبيح ما حرَّمه الله في القرآن والسنة النبوية المشرفة، وتخالف ثوابت الشريعة الإسلامية.

وقال الدكتور الطيب: «مما يؤكد عليه الأزهر انطلاقًا من هذه المسئولية أن النصوص الشرعية فيها ما يَقبل الاجتهاد الصادر عن أهل الاختصاص الدقيق في علوم الشريعة، ومنها ما لا يَقبل، والنصوص إذا كانت قطعية الثبوت والدلالة معًا؛ فإنها لا تحتاج لاجتهاد مثل آيات المواريث الواردة في القرآن الكريم».

وقال الدكتور محمود مزروعة، أستاذ العقيدة بجامعة الأزهر: «إن قضية المواريث ومساواة الرجل بالمرأة فيها تُعَدُّ مخالفة للشريعة، وذلك لأنها قضية معلومة من الدين بالضرورة، حيث قال الله في كتابه العزيز: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾ (النساء:١١).

وإن الأمور المعلومة من الدين بالضرورة هي الثابتة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، كالصلاة والصيام، وكذلك أن تحصل المرأة على نصف نصيب الرجل، فالآية واضحة ومفهومة وثابتة للجميع، إضافة إلى أنها نصٌ قطعي ثابت.

واستنكرت هيئة كبار العلماء تصريحات الدكتور سعد الهلالي بشأن المساواة بين الرجل والمرأة في الميراث، والتي زعم فيها أن قرار تونس في هذا الخصوص صحيح فقهيًا ولا يعارض كلام الله، واعتبروا أن ذلك يُعَدُّ عبثًا بالشرع، وأن هذا النوع من الأحكام لا يقبل الخوض فيه بخيالات جامحة وأطروحات تصادم القواعد والمحكمات ولا تستند إلى علم صحيح.

ومن جانبه قال عضو لجنة الفتوى بالأزهر الشريف سابقًا الشيخ هاشم إسلام: «إن العلمانيين



وحدة واحدة، وأهدافهم واحدة، وبالتالي فهي دعوة منافقة ضالة ومُضلة، وإن الهلالي معروف بفتاواه ودعواته الشاذة...».

كما أكد الدكتور شوقي علام مفتي الجمهورية «أن المساواة بين الرجل والمرأة في الميراث أمرٌ مخالف للشريعة وإجماع العلماء على مرِّ العُصور».

وأضاف الدكتور علام في بيان له أنه فيما يتعلق بالنصوص التي فرضت استحقاق الرجل مثل حظ الأنثيين فإن تقسيم الميراث في هذه الحالات قد حُسمَ بآيات قطعيَّة الثبوت والدلالة، وهي قوله تعَالى: «يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ» (النساء:١١)، وقوله تعالى في ميراث الأخت الشقيقة أو لأب مع أخيها الذي في درجتها وقوة قرابتها: «وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» (النساء:١٧٦).

وأكد فضيلة المفتي أنه لا اجتهاد في النصوص التي هي قطعية الدلالة، قطعية الثبوت بدعوى تغيير السياق الثقافي الذي تعيشه الدول والمجتمعات الآن؛ مثلما يدعي البعض، إذ تلك النصوص المقطوع بدلالتها وثبوتها تُعدُّ من ثوابت الشريعة، فالقرآن الكريم قطعي الثبوت من ناحية آياته، وهو يشمل آيات كثيرة دلالتها قطعية لا شك فيها، ولا تحتمل ألفاظها إلاَّ معنى واحدًا ينبغي أن تُحمَل عليه، والاجتهاد في مثل تلك الحالات يؤدي إلى زعزعة الثوابت التي أرساها الإسلام.

وقد أكَّد الدكتور عباس شومان وكيل الأزهر السابق أن الدعوة إلى المساواة بين الرجل والمرأة في الميراث تظلم المرأة ولا تنصفها، وتتصادم مع أحكام الشريعة، مشددًا على أن المواريث مُقسمة بآيات قطعية الثبوت والدلالة لا تحتمل الاجتهاد ولا تتغير بتغير الزمان والمكان ولا الأحوال، وهي من الموضوعات القليلة التي وردت في كتاب الله مُفصلة لا مجملة، وكلها في سورة النساء.

واعتبر الدكتور شومان في بيانه: «أن هناك العديد من المسائل التي تساوي فيها المرأة الرجل أو تزيد عليه، وكلها راعى فيها التشريع بحكمة بالغة واقع الحال وحاجة الوارث والوارثة للمال؛ لما يتحمله كل منهم من أعباء، ولقربه وبُعده من المتوفَى، وليس لاختلاف النوع بين الذكورة والأنوثة كما يتخيل البعض».

وأكد فضيلته أن مسألة الزواج المطروح الغالب فيه فقدُ المودة والسكن المقصود من الزواج؛ إذ لا يؤمن غير المسلم بدين المسلمة، وبالتالي فإنه لا يُمكِّن زوجته من أداء شعائر دينها فتبغضه، ولا تستقر الحياة الزوجية بينهما، وجاء هذا الكلام ردًّا على الدعوات الباطلة المطالبة بإباحة زواج المسلمة بغير المسلم، وهي أقوال مفسدة وليس كما يظن أصحابها أنها في مصلحة المرأة.

حكمة الإسلام في بيان نصيب المرأة من الميراث

وللرد على مَن سوَّلت لهم أنفسهم أن ينكروا شرع الله؛ شرع رب العالمين الذي جاء في كتابه المبيَّن بنصوص قطعية صريحة لا تقبل الاجتهاد، ولا الإتيان بنصوص وتشريعات وضعية مشبوهة تنظم أمرًا نظَّمه وقسَّمه وفصَّله رب العالمين، فنصيب الذكور والإناث من الأولاد حق مفروض بنص القرآن الكريم، وقد بُنيَ على علاقة صلة الرحم بين الوالدين والأقربين، وقد جعل الله تعالى نصيب الرجل من الإرث على الضعف من نصيب المرأة في عدة حالات على أساس اختلاف طبيعة المهام والأعباء بين الرجل والمرأة؛ فأعباء الرجل المالية في الحياة العائلية تختلف عن أعباء المرأة، وهذا الأمر لا يعني التقليل أو التمييز بين الرجل والمرأة أو الانتقاص من حقوقها. (حقوق الإنسان في الإسلام، د. محمد الرحيلي).

والرجل مُكلف شرعًا بالإنفاق على أمه وأبيه وأخته وأخيه متى كانوا مُعسرين، قال الله تعالى: «يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ» (البقرة:٢١٥).

وقد بُنيَ الاختلاف بين نصيب المرأة ونصيب الرجل في الميراث على أساس الاختلاف بين أعباء الرجل المالية في الحياة وأعباء المرأة؛ فمسئولية الرجل في الحياة من الناحية المادية أوسع بكثير من مسئولية المرأة، فالرجل رب الأسرة وهو القوَّام عليها، والمكلَّف بالإنفاق على جميع أفرادها، أما المرأة فليست مكلفة حتى بالإنفاق على نفسها،

فكان من العدل أن يكون حظ الرجل من الميراث أكبر من حظ المرأة، حتى يكون له في ذلك ما يُعينه في الحياة من الميراث، مع إعفائه إياها من أعباء المعيشة، ولذلك لو لم يكن للوارثين إلا ما يرثونه من أموالهم لكانت أموال النساء دائمًا أكثر من أموال الرجال.

فإذا وجب للمرأة أن تأخذ من ناحية وجب عليها أن تدع من ناحية أخرى تقابلها، وهذا الدين يقوم في أساسه على تربية أخلاقية عالية ينشئ بها طباعًا فاضلة، فهو يربأ بالرجل أن يطمع في مال المرأة أو أن يكون عالة عليها، فمن ثم أوجب عليه أن يعطيها المهر، وأن ينفق عليها وعلى أولادها.

شيخ الأزهر يدافع عن السنة النبوية

وفي ظل تلكم الصيحات الجديدة القديمة المتجددة من تلك الفئة المشككة التي دأبت على التشكيك في قيمة السنة النبوية وفي ثبوتها وحجيتها، والطعن في رواتها؛ من الصحابة والتابعين، ومن جاء بعدهم، والمطالبة باستبعاد السنة جملة وتفصيلاً من دائرة التشريع والأحكام، والاعتماد على القرآن الكريم فحسب في كل ما نأتي وما ندع من عبادات ومعاملات، وما لم نجده منصوصًا عليه في القرآن، فإن المسلمين فيه بالخيار وأحرارًا من قيود التحريم أو الوجوب.

في مواجهة تلك الهجمة أكَّد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الدكتور الطيب في كلمته في الاحتفال بذكرى المولود النبوي: أن تلك الدعوات قد ظهرت أول ما ظهرت في عصرنا الحديث في الهند منذ نهاية القرن التاسع عشر، وشاركت فيه شخصيات شهيرة هناك، منهم من انتهى به الأمر إلى ادعاء النبوة، ومنهم من كان ولاؤه للاستعمار، ومنهم من أدَّاه اجتهاده إلى إنكار الأحاديث النبوية ما كان فيها متواترًا، وما كان غير متواتر، وزعم أن السنة ليست لها أية قيمة تشريعية في الإسلام، وأن القرآن وحده هو مصدر التشريع ولا مصدر آخر غيره، ضاربًا عرض الحائط بما أجمع عليه المسلمون من ضرورة بقاء السنة إلى جوار القرآن جنبًا إلى جنب، وإلا ضاع ثلاثة أرباع الدين.

وأكد فضيلة الإمام في كلمته القوية على بعض الثوابت قائلاً: «بعض المتربصين بالسنة النبوية والمشككين فيها، والمنكرين لثبوتها على اختلاف مشاربهم وأذواقهم يجمع بينهم الشك والريبة في رواة الأحاديث، وأكد أن علماء الأمة وجهابذتها أفنوا أعمارًا كاملة من أجل تمييز الصحيح من غير الصحيح من مرويات السنة، وأن علم الإسناد أو علم الرجال لا نظير له عند غير المسلمين، شهد بهذا الأفذاذ من علماء أوروبا».

مؤكدًا فضيلته على أن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم قد حذَّر قبل أكثر من ثلاثة عشر قرنًا من أناس ينتسبون إليه سيخرجون ينادون باستبعاد سُنته والاكتفاء عنها بالقرآن.

وقد تساءل فضيلة الإمام تساؤل تعجُّب ودهشة بالغة: من أنبأ هذا النبي الكريم بأن ناسًا ممنَ ينتسبون إليه سيخرجون - بعد أكثر من ثلاثة عشر قرنًا من الزمان- ينادون باستبعاد سنته والاكتفاء عنها بالقرآن، ليحذرونا من صنيعهم قبل أن يُخلقوا بقرون عدة، وفي حديث صحيح يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ يَنْثَنِي شَبْعَانًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ..

وفي رواية: ألا وإن ما حرَّم رسول الله مثل الذي حرَّم الله» (رواه أحمد: ١٦٧٢٢). اهـ.

خاتمة

وفي الختام نقول: إننا في زمن قد كثرت فيه الفتن، وتعاظمت المحَن، وتوالَت علينا النُّذُر، واضطربت البلدان من حولنا، واستحرَّ القتل في الناس، فأخبار الصباح والمساء تنقل مشاهد الدماء وهي تنزف، والجثث وهي تملأ الطرقات في ليبيا وسوريا واليمن ولبنان وفلسطين المحتلة وغيرها، وأحوال الاقتصاد العالمي في كساد، مما يُنذر باندلاع حروب ونزاعات، والأوضاع الإقليمية في غاية التوتر، والناس في ترقب، وآيات الله الكونية تتابع على الناس.

فاللهم اهدنا، وعافنا، واعف عنا، وأنر بصائر، وردنا إلى الحق ردًّا جميلاً، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

سُورَةُ مُحَمَّدٍ









الحلقة الثانية عشرة

قال تعالى: « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ (٣٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (٣٣) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ (٣٤) فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ (٣٥) إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ » (محمد: ٣٢-٣٦)

إعداد/ د. عبدالعظيم بدوي

والذي عليه أهل السُّنَّة أن الإحباط قسمان:

أَحَدُهُمَا: إِحْبَاطُ الْكُفْرِ لِلْإِيمَانِ، وَهَذَا لَا تَنْفَعُ مَعَهُ الْأَعْمَالُ مُطْلَقًا، وَصَاحِبُهُ- إِنْ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ- خَالِدٌ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ. قَالَ تَعَالَى: «قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (١٠٥) ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا » (الكهف: ١٠٣-١٠٦).

وَالثَّانِي: إِحْبَاطُ الْمَعَاصِي لِلْأَعْمَالِ، وَهَؤُلَاءِ تُوزَنُ أَعْمَالُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ مَعَ أَوَّلِ الدَّاخِلِينَ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأَمْرُهُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ فِي النَّارِ بِعَدْلِهِ، ثُمَّ يُخْرِجُهُ مِنْهَا بِرَحْمَتِهِ وَشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ.(فتح الباري ١/ ١١٠).

«إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ» (محمد: ٣٤):

هذه الآية مقيدة للوعيد المذكور في أول آية في السورة وهي قوله تعالى: «الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ» أي أبطلها وأحبطها، بالشرط المذكور هنا وهو: «ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ»، وقد سبق بيان ذلك في أول السورة، وأنهم لو أسلموا أثابهم الله على ما عملوا في الكفر.

«فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ »: إن الإسلام هو

دين العزة والإباء، وليس دين الذلة والهوان، «وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ» (المنافقون: ٨).

وليست الفضيلة في الإسلام الركون إلى الدعة والراحة والرضا بالهوان، وطلب المعيشة الذليلة المستكينة، إنما الفضيلة في الإسلام هي رد الاعتداء، ومنع الأقوياء، وإن كلف النفس والأرواح:

لا تسقني ماء الحياة بذلة

بل فاسقني بالذل كأس الحنظل

فلا يليق بالمسلمين وقد نشبت الحرب ووقفوا لعدوهم وجهًا لوجه أن يكونوا هم الذين يرفعون الراية(أعني راية الاستسلام) ويدعون للصلح، فقد قال تعالى: «فَلَا تَهِنُوا» أي فلا تضعفوا وتكسلوا عن طلب العدو، فإن وهن القلب يوهن البدن، ولكن «ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟» (آل عمران: ٢٠٠)، فأنتم أولى بالمثابرة من عدوكم، و« إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ» (آل عمران: ١٤٠)، و «إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ» وتفضلونهم بأنكم «وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ» (النساء: ١٠٤) من النصر أو الشهادة، كما قال تعالى: « قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ» (التوبة: ٥٢).

« فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟» الكفار المحاربين«إِلَى ٱلسَّلْمِ» أي الصلح ووضع الحرب، وقد جاؤوكم يريدون إذلال الإسلام والمسلمين، وإظهار عزة الشرك والمشركين، فإن ضعفتم عن قتالهم، ودعوتموهم إلى السلم إيثارًا للراحة، وحرصًا على السلامة فقد تحقق لهم ما يريدون، وربما استهانوا بكم بعد هذا الطلب فأعملوا فيكم سيوفهم، « فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ» وكل الظروف المحيطة بكم تنهاكم عن ذلك:

١- «وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ» اعتقادًا وتصورًا للحياة، «وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ» ارتباطا وصلة بالعلي الأعلى، «وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ» منهجا وهدفًا وغاية، «وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ» شعورًا وخُلقًا وسلوكًا، «وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ» قوة ومكانة ونصرة. (في ظلال القرآن: ٤٧١/٧).

٢- «وَٱللَّهُ مَعَكُمْ» بنصره وتأييده ومدده، وهذه المعية تربط على قلوبكم، وتقوي عزائمكم، وتثبت أقدامكم، كما قال تعالى: « إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟» (الأنفال: ١٢)، وهذه المعية تمنع عنكم الرعب والخوف، كما قال تعالى لموسى وهارون: « قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ» (طه: ٤٦)، وهذه المعية ترعب أعداءكم وتزلزل أقدامهم، كما قال تعالى: «إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ» (الأنفال: ١٢).

٣-«وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ» أي لن ينقص الله من أجوركم شيئا وإن كان النصر من عنده، بل سيوفيكم أجوركم بغير حساب، كما قال تعالى: « مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ

﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١٢٠) وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (التوبة: ١٢٠- ١٢١).

أما حين يطلب العدو الصلح فإنه يُجاب إليه، وإن كانت لهم نية سيئة في ذلك الطلب فالله أعلم بهم، وسيجعل كيدهم في نحورهم، قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦١) وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾ (الأنفال: ٦١- ٦٢):

يقول تعالى: «وَإِنْ جَنَحُوا» أيْ مَالُوا «لِلسَّلْمِ» أيْ الْمُسَالَمَة وَالْمُصَالَحَة وَالْمُهَادَنَة، «فَاجْنَحْ لَهَا» أيْ فَمِلْ إلَيْهَا وَاقْبَلْ مِنْهُمْ ذَلِكَ، وَلِهَذَا لَمَّا طَلَبَ الْمُشْرِكُونَ عَامَ الْحُدَيْبِيَة الصُّلْحَ وَوَضْعَ الْحَرْب بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم تِسْعَ سِنِينَ أَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ، مَعَ مَا اشْتَرَطُوا مِنَ الشُّرُوط الْأُخَر. وَقَوْلُهُ تعالى: «وَتَوَكَّلْ عَلَى الله» أيْ صَالِحْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى الله، فَإِنَّ اللَّه كَافِيكَ وَنَاصِرُكَ وَلَوْ كَانُوا يُرِيدُونَ بِالصُّلْحِ خَدِيعَة، لِيَتَقَوَّوْا وَيَسْتَعِدُّوا «فَإِنَّ حَسْبَكَ الله» أيْ كَافِيكَ وحده. (تفسير القرآن العظيم: ٣٢٢/٢).

وهكذا قوى الله تعالى عزائم المؤمنين ونشَّطهم، ورغبهم في مثابرة عدوهم التي هي سبب نصرهم وعزهم، وصلاحهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة.

ثم كشف لهم عن حقيقة الحياة الدنيا التي هي غالبا ما تكون وراء الوهن والخلود إلى الأرض، والتثاقل عن قتال المشركين، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾:

يقول تعالى محذرًا من إيثار الحياة الدنيا على القتال في سبيل الله:

﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ فإن فاتتكم بالقتل في سبيل الله فما فاتكم شيء، ﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (التوبة: ٣٨).

عن المستورد بن شداد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «وَاللهِ مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ- وَأَشَارَ يَحْيَى بِالسَّبَّابَةِ- فِي الْيَمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ» (صحيح مسلم ٢٨٥٨).

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «لَمَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» (صحيح البخاري ٢٨٩٢).

فلا تتركوا قتال المشركين المحاربين رغبة في الدنيا، وآثروا ما يبقى على ما يفنى.

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (التوبة: ٣٨).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.



التطبيق المعاصر للزكاة

حكم التطبيق المعاصر للزكاة بجانب الضريبة

إعداد د. حسين حسين شحاتة
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

أصبحت فريضة الزكاة من فرائض الإسلام المنسية، ولا سيما بعد تطبيق مفاهيم العلمانية- التي تقتضي تنحية الدين عن حلبة الحياة-، وكذلك تطبيق نظم الضرائب الوضعية في معظم الدول الإسلامية، وتخلي ولي الأمر عن مسئوليته في تحصيل الزكاة وإنفاقها في مصارفها الشرعية.

ولقد انشغل معظم المسلمين في هذه الأيام بأمر الضرائب خشية الوقوع تحت طائلة جريمة التهرب، ونسوا حق الله في المال وحرمة الامتناع عن أدائه.

لقد أصبح التطبيق المعاصر للزكاة من أهم القضايا التي تواجه المسلمين، ولا يجوز التهاون بشأنها مهما كانت التحديات لأنها تمسّ العقيدة والشريعة والمجتمع والأمة الإسلامية.

ومن أهم المشكلات المعاصرة التي تواجه تطبيق الزكاة هو تطبيق نظم الضرائب الوضعية، واختلف الفقهاء بشأن قضية التكامل والتنسيق بينهما في ضوء أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية فمنهم من يري أنه «لا حرج من تطبيق الضريبة بجوار نظام الزكاة لأن لكل منها موارد ومصارف خاصة»، ومنهم من يري أن الأصل هو تطبيق نظام الزكاة، وإن لم تكف الحصيلة تفرض ضرائب على الأغنياء بضوابط شرعية، كما تفرض الضريبة على غير المسلمين.

والرأي الأرجح الذي أخذت به مجامع الفقه هو: (إن ما يُفْرَض من الضرائب لمصلحة الدولة لا يُغْنِي القيام به عن أداء الزكاة المفروضة) (من قرارات المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٦٥م).

ومما يجب التأكيد عليه في هذا المقام هو أن الضريبة لا تغنى عن الزكاة، وليسا متماثلين، ويخصم ما دفع من الضرائب من



الأموال الخاضعة للزكاة، وهذا يحدث فعلاً لأنه عند دفع الضريبة، نقص المال الذى سوف تفرض عليه الزكاة

حكم التهرب من الضريبة بدعوى أداء الزكاة

يتهرب كثير من الناس من أداء الضرائب والرسوم الجمركية وما في حكمهما بطريقة أو بأخرى، ومبررهم في ذلك: أن الضريبة نظام وضعي، وأن الضريبة ظالمة ويُنْفَقُ جزء منها في غير الحق، وأنهم يؤدون الزكاة ... إلى غير ذلك من المبررات.

ويثار تساؤل: ما حكم التهرب من الضريبة في ميزان الإسلام؟ لقد تناول فقهاء الإسلام المعاصرين هذه القضية بشيء من التفصيل وخلصوا إلى مجموعة من القرارات والفتاوى من أهمها ما يلى:

(١) يجوز لولي الأمر أن يوظف على أموال الأغنياء ضرائب بضوابط شرعية للإنفاق منها على الخدمات العامة التي لا تدخل في نطاق مصارف الزكاة مثل: الأمن، والتعليم، والعلاج، والمرافق، والتي تعتبر من الضروريات للناس وتأسيسًا على ذلك لا يجوز التهرب من أدائها.

(٢) يجب أن تُفرَض الضرائب بالحق، وتُحصَّل بالحق، وتنفق في الحق وإذا تحققت هذه الشروط الثلاث أصبحت الضريبة عادلة وواجبة الأداء.

(٣)تجنب فرض الضرائب الظالمة؛ لأنها من المكوس التي حرمتها الشريعة الإسلامية؛ حيث تؤخذ بغير حق وتنفق في غير حق ولا توزع أعباؤها بالعدل.

(٤)أن لا يكون في فرض الضرائب والرسوم الجمركية مخالفات لأحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية ومقاصدها وهى: حفظ الدين، والنفس، والعقل، والعرض، والمال.

(٥) يعتبر ولي الأمر مسئولًا أمام الله وأمام الناس وأمام الوطن عندما لا يلتزم بالضوابط الشرعية لفرض الضريبة.

وفي هذا الخصوص يقول بعض العلماء: إنه يجب توافر عدة شروط في الضريبة العادلة من أهمها ما يلي:

توزيع أعباء الضرائب بالعدل.

إنفاق حصيلة الضرائب في مصالح الأمة.

موافقة أهل الشورى والرأي في الأمة على فرض الضرائب.

أن تفرض الضريبة على الأغنياء وليس على الفقراء.

والخلاصة إنه لا يجوز التهرب من أداء الضرائب والرسوم الجمركية وما في حكم ذلك باعتبارهم من الموارد السيادية للدولة، وإن كان هناك ظلم فيزال بالأساليب المعتبرة شرعًا وقانونًا، ويعتبر ولي الأمر مسئولًا عن أي مخالفات شرعية، ولا يجوز تعطيل فرضية الزكاة بدعوى تطبيق الضرائب.

الفرق بين الضريبة والزكاة

لقد سبق أن أوضحنا أن الزكاة شيء والضريبة شيء آخر، ولا يجب أن يطلق على الزكاة ضريبة، وأن لا يطلق على الضريبة زكاة، حيث توجد فروق أساسية بينهما، وإن وجد بعض التماثل في بعض الجوانب الإجرائية.

ويمكن تلخيص الفروق الجوهرية بين الزكاة والضريبة على النحو التالي:

(١)زكاة المال فريضة وركن من أركان الإسلام وعبادة مالية وطاعة لله ورسوله، والضريبة ليست كذلك.

(٢)زكاة المال عبارة عن تمليك جزء من الأموال لمستحقي الزكاة، وهى حق لهم وليس مَنة من الأغنياء عليهم، بينما الضريبة اقتطاع إجباري لجزء من أموال الأفراد والشركات والمؤسسات وغيرها تُوجَّه إلى خزينة الدولة وفقًا للتشريع الضريبي الوضعي.

(٣)الزكاة حق لمستحقيها وهذا الحق معلوم لكل من المكلف والمستحق بينما، لا يعتقد دافع الضريبة أنها ليست حقًا للدولة لأسباب عديدة؛ منها أن جزءًا منها ينفق

في وجوه لا يستفيد منها الفقراء، كما أنها تؤخذ من الفقراء والأغنياء.

(٤) تجب زكاة المال في الأموال التي تتوافر فيها شروط معينة منها أن يكون المال فائضًا عن الحوائج الأصلية، وخاليًا من الدَّين، وأن يصل نصابًا معينًا في بعض الزكوات، بينما لا تأخذ الضريبة هذه الشروط في الحسبان؛ حيث أحيانًا تؤخذ من الفقير الذي هو دون حد الكفاية وحد الكفاف سواء عليه دين أم لا.

(٥) لزكاة المال مصارف محددة ومعلومة هي ثمانية وتهتم بالعنصر الإنساني ولا يجب أن توزع حسب هوى الحاكم، بينما توزع حصيلة الضرائب حسب تقدير ولي الأمر، ويستفيد منها الفقراء والأغنياء بل في بعض الأحيان يستأثر بالاستفادة منها الأغنياء.

(٦) تهدف الزكاة في المقام الأول إلى عبادة الله والامتثال لأوامره، كما أنها شكر لله، وتعلم الفرد الكرم والمحبة، وهي مرتبطة بحفظ الحاجات الأصلية للإنسان وهي: حفظ الدين، والنفس، والعقل، والعرض، والمال، بينما يصعب على أي نظام ضريبي تحقيق ذلك، بل نجد أنه في بعض الدول تستخدم جزءًا من حصيلة الضريبة ضد حاجات الإنسان المعتبرة شرعًا.

(٧) تهدف الزكاة إلى تحقيق التكافل الاجتماعي نصًا وروحًا وربط الفقير بالغني، بينما فشلت نظم الضرائب المعاصرة في تحقيق ذلك، وكل ما نسمعه هو تغني ومتاجرة بالكلام بل أحيانًا تؤدي الضريبة إلى الحسد والكراهية بين الناس وبين المولين والأجهزة الضريبية.

(٨) تهدف الزكاة إلى التحفيز على الاستثمار وعدم الاكتناز وتوفير الأموال السائلة للمشروعات الاقتصادية، بينما تؤدى الضريبة إلى الاكتناز وذلك في ظل أسعار الضرائب المرتفعة.

(٩) تؤدي زكاة المال إلى تحقيق التنمية الاقتصادية التلقائية ومحاربة الفقر، بينما عجزت النظم الضريبية عن تحقيق ذلك بنفس المستوى، بل أحيانًا يؤدي ارتفاع أسعار الضرائب فوق الطاقة إلى التهرب منها أو الإحجام عن إنشاء المشروعات الاستثمارية.

(١٠) تتسم أحكام زكاة المال بالثبات والاستقرار ولا تصطدم ببيئة ولا بزمن ولا بظروف، بينما تتغير وتتعدل قوانين الضرائب على مر الأيام والأزمنة.

(١١) يقوم المزكي من تلقاء ذاته من باعث ودافع الحب لله وتقربًا إليه بسداد الزكاة، ومن يتهرب منها فهو ضعيف الإيمان، بينما نجد أن دافع الضرائب يراوغ ويحاور ويحاول جهده لتجنبها والتهرب منها لغياب الباعث الإيماني فيها، وضعف الباعث والدافع الذاتي عنده.

ولا تعني هذه الفروق حثّ الناس على عدم أداء الضرائب بل هي من حقوق المجتمع لتمويل الخدمات العامة التي تخرج عن نطاق مصارف الزكاة مثل الأمن والتعليم والعلاج ونحوه، وإن كان هناك انحراف في توجيه حصيلتها فيقع الإثم على ولي الأمر وبطانته وعلينا أن ندعوهم إلى الخير ونأمرهم بالمعروف وننهاهم عن المنكر.

ومن ناحية أخرى نناشد أولياء أمور المسلمين المعنيين بأمور الضرائب بالآتي:

- تطبيق نظام زكاة المال.
- تطوير وإصلاح النظم الضريبية القائمة في ضوء أحكام الزكاة.

عندئذ تتحقق البركة والنفع؛ مصداقًا لقول الله تبارك وتعالى: «فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا» (طه: ١٢٣-١٢٤)، ومصداقًا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا: كتاب الله وسنتي» (رواه مسلم).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

مثل القرية التي كفرت بأنعم الله

إعداد مصطفى البصراتي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

فهذا مثل من الأمثال القرآنية وهو في قوله تعالى من سورة من النحل: « وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ » (النحل: ١١٢).

المعنى الإجمالي:

قال ابن كثير رحمه الله: هذا مثل أريد به أهل مكة، فإنها كانت آمنة مطمئنة مستقرة، يُتخطف الناس من حولها، ومن دخلها فهو آمن لا يخاف، كما قال الله تعالى: « وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا » (القصص: ٥٧)، وهكذا قال هاهنا: «يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا» (النحل: ١١٢) أي: هنيئًا سهلاً، «مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ» (النحل: ١١٢) أي: جحدت آلاء الله عليها وأعظم ذلك بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم إليهم، كما قال الله تعالى: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ » (إبراهيم: ٢٨-٢٩)، ولهذا بدلهم الله بحاليهم الأولين خلافهما، فقال: «فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ » (النحل: ١١٢) أي: ألبسها وأذاقها الجوع بعد أن كان يُجبَى إليهم ثمرات كل شيء، ويأتيها رزقها رغدًا من كل مكان، وذلك لما استعصوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوا إلا خلافه، فدعا عليهم بسبع كسبع يوسف، فأصابتهم سنة أذهبت كل شيء لهم، فأكلوا العلهز- وهو: وبر البعير، يجعل بدمه إذا نحروه.

معاني المفردات:

وضرب بمعنى: جعل- وجُعل المثلُ قريةً موصوفة بصفات تبين حالها المقصود من التمثيل، فاستغنى عن تعيين القرية.

«قرية»: قال ابن عباس، ومجاهد وقتادة: القرية المضروب بها المثل مكة، والمراد بالقرية أهلها إذ هم المقصود من القرية، كقوله: « وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ » (يوسف: ٨٢). (تفسير المحرر الوجيز لابن عطية والتحرير والتنوير بتصرف).

«آمنة»: أصل الأمن طمأنينة النفس وزوالُ الخوف- والأمن السلامة من تسلط العدو. (معجم مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني).

«مطمئنة»، غير منزعجة، أي: لا يخاف أهلها، ولا ينزعجون. (فتح البيان لصديق الفتوحي).

«يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان»: يُحمل إليها من البر، والبحر، والرزق: الأقوات، والرغد: الوافر الهنيء. (تفسير البغوي بتصرف من كل مكان بمعنى من أمكنة كثيرة).

«فكفرت»: أي: كفر أهلها (بأنعم الله) التي أنعم بها عليهم، وهي جمع نعمة كالأشد جمع شدة، وقيل: كالأدرع جمع درع.

«فأذاقها الله»: الإذاقة: حقيقتها إحساس اللسان بأحوال الطعوم، وهي مستعارة هنا وفي مواضع من القرآن إلى إحساس الألم والأذى إحساسًا مكينًا كتمكن ذوق الطعام من فم ذائقه لا يجد له مدفعًا.

«واللباس»: حقيقته الشيء الذي يُلبس، وإضافته إلى الجوع، والخوف قرينة على أنه مستعار إلى ما يغشى من حالة إنسان ملازمة له كملازمة اللباس لابسه، كقوله تعالى: «هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ» (البقرة: ١٨٧) بجامع الإحاطة والملازمة. (التحرير والتنوير لابن عاشور).

«الجوع»: ابتلاهم الله بالجوع سبع سنين وقطعت العرب عنهم الميرة. والجوع : الألم الذي ينال الإنسان من خلو المعدة من الطعام. (معجم مفردات ألفاظ القرآن بتصرف).

«الخوف»: توقع مكروه عن أمارة مظنونة، أو معلومة، ويضاد الخوف: الأمن، ويستعمل ذلك في الأمور الدنيوية والأخروية. (المصدر السابق).

«بما كانوا يصنعون»: أي: فعلنا بهم ما فعلنا بسبب تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

المعنى التفصيلي:

هذا مَثَلٌ صريحٌ ضربه الله عبرةً للأمم والبلاد والجماعات، والقرية المضروب بها المثل هي مكة، كانت بهذه الصفة التي ذكر الله، آمنة من غارات الأعداء، مطمئنة مستقرة ليس فيها مخاوف ولا مشكلات أمنية أو اقتصادية، يأتيها رزقها رغدًا، أي هنيئًا سهلاً واسعًا، من سائر البلاد، فكفر أهلها بنعم الله، وجحدوا بها، فعمهم الله بالجوع والخوف، وبُدِّلوا بأمنهم خوفًا وبغناهم جوعًا وفقرًا، وبسرورهم ألمًا وحزنًا، وذاقوا مرارة العيش بعد السعة، بسبب أفعالهم المنكرة، وعبادتهم الأوثان، وتنكرهم للقرآن والشرع والهداية، ومن أتم النعم الإلهية عليهم: أنه جاءهم رسول كريم من جنسهم عربي قرشي هاشمي، فكذبوه فيما أخبرهم به من أنه رسول إليهم، مبلغ عن ربه بأن يعبدوه ويطيعوه، ويشكروه على النعمة، فجاءهم العذاب بسبب ظلمهم.

لقد أصابتهم السنون، أي القحط وتعرضوا للخوف، وهاجمتهم سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب الكفر والتكذيب، جزاءً لسوء صنيعهم وظلمهم.

وإذا كانت مكة في رأي ابن عباس، ومجاهد، وغيرهما هي التي ضربت مثلاً فإنما ضربت لغيرها مما يأتي بعدها، ليحذر أهلها أن يقعوا فيما وقعت هي فيه وقد اختلف المفسرون هل المراد بهذا القرية قرية معينة أو المراد قرية غير معينة. قال الزمخشري: بل كل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم ذكر النعمة فكفروا وتولوا فأنزل الله بهم نقمته، ونحوه البيضاوي.

وقال القرطبي: إنه مثل مضروب لأي قرية كانت على هذه الصفة من سائر القرى، فيجوز أن تراد قرية مقدرة على هذه الصفة، ويجوز أن تكون في قرى الأولين قرية كانت هي حالها فضربها الله مثلاً لمكة إنذارًا من مثل عاقبتها وذهب الأكثرون إلى الأول وصرحوا بأنها مكة، وذلك لما دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: «اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف». رواه البخاري ومسلم.

وقال صاحب فتح البيان صديق حسن القنوجي (٨٥/٤): "وأيضًا يكون الوعيد أبلغ والمثل أكمل وغير مكة مثلها، وعلى فرض إرادتها ففي المثل إنذار لغيرها من مثل عاقبتها، والآية عند عامة المفسرين نازلة في أهل مكة وما امتحنوا به من الخوف والجوع بعد الأمن والنعمة بتكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم، فتقدير الآية ضرب الله مثلاً لقريتكم، أي بين الله لها شبهًا، ثم وصف القرية بأنها (كانت آمنة) غير خائفة". اهـ من فتح البيان.

والهدف من هذا المثل الذي أرشدت إليه الآية: هو وجوب الإيمان بالله وبالرسل، والتوجه نحو عبادة الله وحده وشكره على نعمه وآلائه الكثيرة، والمعرفة الثابتة بأن العذاب الإلهي لاحقٌ بكل من كفر بالله وعصاه وجحد نعمة الله عليه.

وهذا إنذار ووعيد لأهل كل قرية اتصفوا بالظلم، أي بالكفر والعصيان إذ لا ظلم أشد من ظلم الكفر والمعصية في حق الله تعالى. (التفسير الوسيط لوهبة الزحيلي).

نسأل الله تعالى أن يردنا إلى دينه ردًا جميلاً، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

باب السنة

كرامات الأولياء

الحلقة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه وبعد :

فقد تكلمنا في شهرنا الماضي في حلقة أولى حول حديث البخاري رحمه الله الذي تفرد بروايته عن باقي أصحاب الكتب الستة

بقلم

د. مرزوق محمد مرزوق

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ ".

ثم بينا مذاهب أهل العلم في الحكم على الحديث وبينا أنها ثلاثة مسالك، وأن الصواب صحته، وهو مذهب شيخ المحدثين رحمه الله

ثم بينا قدر هذا الحديث عند علماء السلف وأنه من أرجى ما ورد من الأحاديث في الولاية أو أصح ما جاء في صفات الأولياء كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ، وأنه أَصْلٌ فِي السُّلُوكِ إِلَى اللَّهِ وَالْوُصُولِ إِلَى مَعْرِفَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَطَرِيقِهِ كما ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح وعزاه إلى الطوفي رحمهم الله جميعاً.

ثم تناولناه بالشرح العام فليتفضل القارئ الكريم بمراجعته مشكوراً مأجوراً .

ثم ها نحن اليوم نتناول بعضاً من فوائده والجواب على بعض ما يرد عليه من شبهات، إن اتسع المقام.

بعض ما يستفاد من الحديث :

ما يستفاد من الحديث :

١- إثبات أن لله تعالى أولياء وبيان فضلهم وذلك خلافاً لمن غالى في الدين وأنكر الأولياء وفضلهم.

٢- بيان أن معادة الأولياء لولايتهم هو معادة للدين لذا جعله الله عز وجل من كبائر الذنوب فكان وعيدهم من الله تعالى هو إيذانهم بحرب الله لهم.

ولعله لا يخفى على المنصفين ما تتعرض له شريعة رب العالمين ومن يتولاها ما يتعرضون له من كيد في مشارق الأرض ومغاربها حتى صار إنكار المعلوم بالضرورة من ثوابت الدين

صار أمراً مألوفاً بل ومقنناً في بعض بلدان المسلمين، ثم تضخمت الغربة والمعادة للدين وأوليائه حتى خرجت علينا الفتنة من داخل بيوت المسلمين تفرق بين الوالد المتدين والابن الراضع من ثقافات المشككين الكارهين عن طريق وسائل الاتصال المنتشرة في هذه الأزمنة الغابرة المتأخرة والتي حولناها بأيدينا وأيدي أعدائنا من نعمة إلى نقمة ، أو العكس فتنة بين ابن هداه الله لسنة النبي الكريم وبين موروثات أب ورثها من آبائه ألفاهم عليها أو استعمار استعمر عقله فانقاد له قلبه، والحاصل من هذا كله فريق يعادي أولياء الله وسيرهم ويقنن لعداوتهم وهجرهم، فيا أولي الألباب وعيد الله ليس بالهين (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب).

٣- بيان طريق الولاية الصحيح وأنه لا يكون إلا بما كان في الكتاب والسنة فيتقرب إلى الله بطاعته بأداء الفرائض ثم بمزيد التقرب إلى الله بالإلحاح عليه سبحانه بنوافل الطاعات ولا ثمة طريق يقبل لهذه الفرائض والنوافل ومن ثم لثبوت هذه الولاية إلا من طريق صحيح الوحي .

هذا وبناء على ما سبق فقد تقرر بذلك ما عليه السلف الصالح من المتقدمين والمتأخرين من وسطية ارتضاها لهم رب العالمين كما قال الله تعالى (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ) البقرة ١٤٣) ، وقوله صلى الله عليه وسلم عن جمع من الصحابة رضوان الله عليهم : (أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة) (علقه البخاري في كتاب الايمان ، باب الدين يسر) ، فهم وسط بين فريقين :

الأول: فريق فأنكر الولاية وعادى الأولياء وعلى خلاف هؤلاء كان سلفنا يقرون بالولايات ويوالون أولياء الله من الصالحين والصالحات يحبونهم ويعادون أعداءهم ولا ينصرونهم بل ويدعونهم بالتي هي أحسن إلى سبيل المؤمنين وسماحة الدين وترك ما هم عليه من مخالفة لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم .

والفريق الثاني: فريق غالى في الأولياء حتى جعلوهم يقاربون الأنبياء بل زادوا عليهم حتى جعلوا لهم من صفات رب الأرض والسماء ومن ذلك ما ذكره ابن عربي الطائي الصوفي (ولا يختلط مع ابن العربي المالكي العالم السني المتوفى سنة ٥٤٣هـ) ما ذكره وغيره مما تتلوث العيون لرؤيته والآذان لسماعه من ادعائهم للألوهية واعتقادهم الحلول والاتحاد (ينظر لهذا المخالف : كتابه فصوص الحكم لمن أراد) ، وينظر ترجمته والحكم على كلامه مختصراً في كتاب سير أعلام النبلاء لشيخ الاسلام الحافظ الذهبي رحمه الله (جـ ٢٣ ص ٤٨) ، ثم جعلوا لهم من الكرامات ما يجوز وصفه بالمضحكات المبكيات ومن ذلك ما أفاض به شاهد من أكابرهم (الشعراني) في كتابه الموسوم بالطبقات الكبرى فذكر فيه من المضحكات ما لو ذكروها على كونها طرائف لصارت مضحكة لكنها صارت من المبكيات لأنهم يذكرونها على أنها عقائد ومن ذلك (ما نقله شيخنا عبدالرحمن الوكيل رحمه الله في كتابه هذه هي الصوفية) في ترجمة أحد أؤليائهم) إبراهيم العريان) إنه كان يطلع المنبر، ويخطبهم عرياناً، فيحصل للناس بسط عظيم) انتهى فكان ذلك كله غلوا في الدين وصل عند بعضهم إلى نقضهم لتوحيد رب العالمين وكان من مظاهره ما يراه القاصي والداني من احتفالات بدعية ومخالفات شرعية عند قبور الأموات بحجة موالاة الأولياء فخالفوا بذلك الهدي الكريم حتى لوكان أؤلياؤهم من الصالحين فما بالنا وفيهم الكسير والعوير ومجهول الحال والعين بل ومن ليس فيه خير.

فالشريعة نهت عن الغلو في الدين وكل

غلو هو انحراف عن امر رب العالمين.

قال صلى الله عليه وسلم : «أيها الناس! إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين» (أخرجه أحمد:١/٢١٥، والنسائي:٢٦٨)، وقال ابن تيمية رحمه الله في بيان هذا الحديث: "قوله: «إياكم والغلو في الدين» عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال". والغلو: مجاوزة الحدّ بأن يزاد في حمد الشيء أو ذمّه على ما يستحق (الاقتضاء:١/٢٨٩).

فالغلو والإفراط كالتقصير والتفريط، كلاهما مجاوزة للشرع المنزل، وعدول عن الصراط المستقيم؛ ولذا قال مخلد بن الحسين رحمه الله: "ما ندب الله العباد إلى شيء إلا اعترض فيه إبليس بأمرين بأيهما ظفر، إما غلواً فيه وإما تقصيراً عنه" (حلية الأولياء:٨/٢٦٦).

فيثبتون الولاية لأولياء الله خلافاً لمن أنكرها من الغلاة.

ثم هم يثبتونها من طريق الشرع خلافاً لمن إدعاها من المفرطين من طريق مخالفة الشرع وتعطيله.

٤- فيه بيان لأهمية الفرائض وأنها مقدمة على النوافل، وفي ذلك من الفوائد ما لا يتسع لبسطه المقام لكن أقله ما يترتب على ذلك عند الأصوليين من الأحكام، ثم ما يترتب عليه أيضاً من تقديم الأوليات في ضروب الحياة عند أولي الأفهام، ومن ذلك ما يتعرض له الناس من فتن الزمان عندما يتعارض أمامهم ظاهر تقدمهم في المستحب من شئون الحياة مع حقيقة وقوفهم على ما افترضه عليهم من ثوابت الدين فحينئذ تتقدم الفريضة على النافلة والله المستعان

٥- وفيه بيان كذلك أنه بعد تحقيق الإيمان تكون زيادة الولاية بزيادة العبادة لا بتعطيلها ورفعها كما زعم بعضهم رفع التكاليف وأن المعصية في حقه معفوة (ينظر: فضائح الباطنية ص ٤٦. ط مؤسسة دار الكتب الثقافية الكويت).

فيا أيها الأحباب المنصفين لو رفعت التكاليف ألم يكن أولى بها سيد الخلق أجمعين الذي زاد في العبادة من النوافل فضلاً عن الفرائض بما لا يقدر عليه بشر ثم هو يجيب في ذلك على المشفق عليه (أفلا أكون عبدا شكوراً ..) وذلك جواباً عن صلاته أو (إني أبيت فيطعمني ربي ويسقين) وذلك جواباً عن مواصلة صيامه ، وعليه فالْعَبْدَ مهما بلغ من الدَّرَجَاتِ لَا يَنْقَطِعُ عَنْ الطَّلَبِ مِنْ اللَّه ، لِمَا فِيه مِنْ الْخُضُوع لهُ وَإِظْهَار الْعُبُودِيَّة وطلب المحبة والتوفيق .

٦- تفاضل الأعمال وتفاضل أجورها فمن فريضة إلى نافلة ثم بين نافلة ونافلة ولا يدري العبد بأي سبب تكون المغفرة فلا يحقرن من المعروف شيئاً فيعطينا ذلك من الفوائد فائدتين أولاهما الاستمرار في الطاعات النوافل بعد الفرائض والصبر عليها فلا ندري متى تكون رحمة الله ، وثانيهما ألا نحقر من المعروف شيئاً فمع ندب الشارع لكثرة الطاعات النوافل بعد فرائض العبادات لكنه علمنا كذلك أن أحداً لن يدخل الجنة بعمله فقال صلى الله عليه وسلم: «واعلموا أنه لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله»، وثم فائدة أخرى من ذلك أن ينظر العبد إلى النافلة أنها سبب من أسباب الرحمة والنجاة لا أن ينظر اليها على كونها واجبة فتفعل أم مستحبة فتهمل .

٧- وفي الحديث إثبات صفة المحبة لله تعالى لقوله : «أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ» ، «حَتَّى أُحِبَّهُ» .

٨- الدلالة على ما ذهب إليه أهل السنة و الجماعة من أن الإيمان يزيد و ينقص ، لأن الأعمال من الإيمان ، فإذا كانت تتفاضل في محبة الله لها ، يلزم من هذا أن الإيمان يزيد وينقص بحسب تفاضلها .

فاللهم بعفوك وكرمك وجودك يا أرحم الراحمين ارزقنا جميل طاعتك والقرب إليك وعظيم محبتك إنك بكل جميل كفيل وأنت حسبنا ونعم الوكيل.



فضل حملة القرآن

إعداد / د. أسامة صابر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

تناولنا في حلقات سابقة نبذة من تراجم القراء العشرة ورواتهم، ثم أتبعناهم بسِيَر مختصرة لبعض أعلام القراءات، وسنبدأ بعون الله في ذكر طرف من فضل حَمَلة القرآن وجميل أخلاقهم؛ عسى الله أن يجعلنا منهم، وأن يحشرنا في زمرتهم.

فمن فضل حملة القرآن:

١- أن الله عز وجل اصطفاهم من خلقه لحمل كتابه:

قال تعالى: «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ» (سورة فاطر:٣٢).

قال ابن عباس: «هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ورثهم الله كل كتاب أنزله، فظالمهم يُغفَر له، ومقتصدهم يُحاسَب حسابًا يسيرًا، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب».

وهذه الآية من أرجى آيات الكتاب العزيز، فقد شملت أمة الإسلام، والعلماء أغبط الناس بهذه النعمة.

ثم بيَّن الله تعالى جزاءهم؛ فقال: «جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ» (سورة فاطر: ٣٣-٣٥).

٢- أن أهل القرآن هم أهل الله وخاصته:

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن لله تعالى أهلين من الناس: أهل القرآن، هم أهل الله وخاصته» (صحيح الجامع ٢١٦٥).

وأهل القرآن هم حَفَظته العاملون به؛ يقرؤونه آناء الليل وأطراف النهار، هم أولياء الله والمختصون به.

٣- تجارتهم مع الله رابحة:

قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ» (سورة فاطر: ٢٩-٣٠).

قال ابن كثير -رحمه الله-: «يخبر تعالى عن عباده المؤمنين الذين يتلون كتابه ويؤمنون به، ويعملون بما فيه من إقام الصلاة، والإنفاق مما رزقهم الله في الأوقات المشروعة ليلاً ونهارًا، سرًا وعلانيةً (يرجون تجارة لن تبور) أي: يرجون ثوابًا عند الله لا بد من حصوله».

وكان مطرف -رحمه الله- إذا قرأ هذه الآية يقول: هذه آية القُرَّاء.

٤- حَمَلة القرآن مع السفرة الكرام البررة:

في الصحيحين (واللفظ لمسلم) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه، وهو عليه شاق، له أجران» (صحيح مسلم رقم ٧٩٨).

قال النووي-رحمه الله-: «والماهر: الحاذق الكامل الحفظ الذي لا يتوقف، ولا يشق عليه القراءة بجودة حفظه وإتقانه».

فحملة القرآن كما أنهم اتصفوا بصفة الملائكة من حمل كتاب الله فهم في الآخرة يرافقون الملائكة في منازلهم

٥- أهل الرفعة وعلو المكانة:

روى الإمام مسلم بسنده عن عامر بن واثلة، أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بعسفان، وكان عمر يستعمله على مكة، فقال: مَن استعملت على أهل الوادي؟ فقال: ابن أبزى. قال: ومن ابن أبزى؟ قال: مولى من موالينا. قال: فاستخلفت عليهم مولى؟ قال: إنه قارئ لكتاب الله عزوجل، وإنه عالم بالفرائض. قال عمر: أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قدَ قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا، ويضع به آخرين» (صحيح مسلم رقم ٨١٧)

٦- يشفع لهم القرآن يوم القيامة:

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه» (صحيح مسلم رقم ٨٠٤).

٧- يرقون إلى درجات الجنة على قدْر حفظهم وإتقانهم:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا؛ فإن منزلك (منزلتك) عند آخر آية تقرؤها» (صحيح لغيره: سنن أبي داود رقم ١٤٦٤).

قال الخطابي: «يقال للقارئ: ارق في الدَّرج على قدْر ما كنت تقرأ من آي القرآن، فمن استوفى قراءة جميع آي القرآن استولى على أقصى الدرج؛ درج الجنة، ومن قرأ جزءًا منها كان رُقيه في الجنة في الدرج على عدد ذلك، فيكون منتهى الثواب عند منتهى القراءة».

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.





الحلقة (٧٥)

علي حشيش

٧٠٤- «أفضلُ النَّاس في المسجد الإمامُ، ثم المؤذنُ، ثم من يمين الإمام».

الحديث لا يصح: أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسنده» (ح٤١٠- الغرائب الملتقطة) قال: أخبرنا أبي، أخبرنا أبو طالب الحسني، حدثنا محمد بن إبراهيم السمان، حدثنا محبوب بن محمد بن حمدويه قُرئ على علي بن محمد بن زيرك ببغداد، حدثنا محمد بن خلف بن عبد السلام، عن موسى بن إبراهيم المروزي، حدثنا موسى بن جعفر عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب مرفوعًا، وعلته: موسى بن إبراهيم المروزي، قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٤/١٩٩/٨٨٤٤): «كذبه يحيى، وقال الدارقطني وغيره: متروك». اهـ.

وقال الإمام العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٤/١٦٦/١٧٣٨): «منكر الحديث». اهـ. وقال الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٦/٣٤٨) (١٨٣٠/٢٠٩): «حدَّث بالمناكير عن قوم ثقات أو من لا بأس بهم، وهو بيِّن الضعف على رواياته وأحاديثه». اهـ.

وعلة أخرى: السقط في الإسناد: حيث إن جدَّ موسى بن جعفر: وهو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، قال الإمام ابن أبي حاتم في «المراسيل» (٦٧٦): «سمعت أبا زرعة يقول: محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب لم يدرك هو ولا أبوه عليًا رضي الله عنه»، وبالتحقيق كما في «التهذيب» (٩/٣١٣) بين أنه ولد بعد موت علي بن أبي طالب بست عشرة سنة.

٧٠٥- «إنَّ الإخوانَ إذا رُفعوا أيديهم عن الطعام لم يحاسب من أكل فضلَ ذلك».

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (٢/٩) بصيغةَ الجزم عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أقف له على أصل». اهـ.

٧٠٦- «إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم دعا لقباح نساء أمته بالرزق».

الحديث لا يصح: أخرجه الإمام الحافظ العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٤/١٦٧/١٧٣٨) من طريق موسى بن غبراهيم بن يحيى المرزوي قال: حدثنا ليث بن سعد، عن ابي قبيل، عن عبد الله بن عمرو بن العاص به، وعلته: موسى بن إبراهيم المروزي، وهو كذاب متروك منكر الحديث كما بينا آنفًا، ولذلك قال الإمام العقيلي بعقبه: «حديث باطل لا أصل له». اهـ. ولذلك أيضًا أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٤/١٩٩/٨٨٤٤) وجعله من مناكير موسى بن إبراهيم.

٧٠٧- «إن مثل عيني داود عليه السلام كالقربتين، تفيضان ماءً، ولقد كانت الدموعُ خددت في وجهه كأخدود الماء في الأرض».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (ح٣٤٦) قال: حدثني إسحاق قال:

حدثنا صاحب لنا، قال: أنبأنا ابن المبارك، عن الأوزاعي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.. وهذا الحديث مردود بالسقط في الإسناد، والطعن في الراوي، أما عن الطعن في الراوي فإن شيخ ابن أبي الدنيا وهو إسحاق قد أبهم من روى عنه فلم يسمعه فقال: «حدثني صاحب لنا»، وهذا النوع عند علماء الحديث يسمى «المبهم»، قال البيقوني في «منظومته»: «ومبهم ما فيه راو ولم يسم»، وحكم روايته عدم القبول، قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٤٩): «لا يقبل حديث المبهم لأن شرط قبول الخبر عدالة راويه ومن أبهم اسمه لا تعرف عينه فكيف تعرف عدالته؟». اهـ.

ويزداد هذا الحديث وهنًا على وهن بالسقط في الإسناد حيث رفعه الأوزاعي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهو من الطبقة السابعة وهي طبقة «كبار أتباع التابعين» فالساقط طبقتان: طبقة التابعين وطبقة الصحابة، فالساقط في السند راويان أو أكثر، إذن الحديث أيضًا معضل.

٧٠٨- «لو أن قطرة من الموت لو وضعت على جبال الدنيا كلها لذابت».

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (٤٤٧/٤) وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أجد له أصلاً». اهـ.

٧٠٩- «إذا خطب أحدكم المرأة، وهو يخضب بالسواد فليعلمها أنه يخضب بالسواد».

الخبر لا يصح: أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسنده» (ح٣٤٩- الغرائب الملتقطة) قال: أخبرنا محمد بن الحسين الثقفي كتابة، أخبرنا أبي، أخبرنا هارون بن محمد العطار، حدثنا الحسن بن علي، حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا عيسى بن ميمون أبو هشام عن القاسم بن محمد عن عائشة، وعلته عيسى بن ميمون قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١١٨/٢): عيسى بن ميمون مولى القاسم بن محمد يروي عن الثقات أحاديث كلها موضوعات فاستحق مجانبة حديثه والاجتناب من روايته، وترك الاحتجاج به بما يروي لما غلب عليه من المناكير.

ثم قال: سمعت عمر بن محمد يقول: قال أحمد بن سنان عن ابن مهدي قال: «استعديت على عيسى بن ميمون فقلت: هذه الأحاديث التي تحدث بها عن القاسم عن عائشة؟ فقال: لا أعود». اهـ.

وقال الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير» (٢٦٦): «عيسى بن ميمون المدني منكر الحديث». اهـ.

وقال الشيخ أحمد في «شرح اختصار علوم الحديث» (ص٨٩): «قول البخاري: «منكر الحديث» فإنه يريد به الكذابين، ففي الميزان للذهبي (٥/١): نقل ابن القطان: أن البخاري قال: كل من قلت فيه منكر الحديث فلا تحل الرواية عنه».

٧١٠- «حُسنُ الخُلق يذيبُ الخطايا كما يُذيبُ الشمسُ الجليد، وإنَّ الخُلُق السوءَ يُفسدُ العملَ كما يفسدُ الخل العسل».

الحديث لا يصح- أخرجه الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٢٤٠/٥) (١٣٨٨/٤٢٠) من حديث ابن عباس مرفوعًا وعلته عيسى بن ميمون، ولقد بينا آنفًا أنه منكر الحديث يروي أحاديث كلها موضوعة.

٧١١- «لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره».

الحديث لا يصح، أخرجه الإمام الترمذي في «السنن» (٥٧٣/٥- شاكر) (ح٣٦٧٣) قال: حدثنا نصر بن عبد الرحمن الكوفي، حدثنا أحمد بن بشير عن عيسى بن ميمون الأنصاري، عن القاسم بن محمد، عن عائشة رضي الله عنها مرفوعًا.

ومن هذا الطريق أخرجه الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٢٤٠/٥) قال: حدثنا عمر بن سنان، حدثنا نصر بن عبد الرحمن به، فالتقى مع الترمذي في شيخه، وأخرجه الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣١٨/١) من طريق نصر بن عبد الرحمن به، وقال: «هذا حديث موضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه عيسى، قال البخاري: منكر الحديث». وقد بينا آنفًا بالتفصيل أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه، وأنه يروي أحاديث كلها موضوعة.

٧١٢- «تخيروا لنطفكُم، فإنَّ النساءَ يلدنَ أشباه إخوانهنَّ وأشباه أخواتهنَّ».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٢٤٢/٥) (١٣٨٨/٤٢٠)، والحافظ ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٢٧٥/٣٦٢/٥٢)، عن عيسى بن ميمون، عن القاسم بن محمد، عن عائشة مرفوعًا، وعلته عيسى بن ميمون المدني الواسطي مولى القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وعيسى منكر الحديث أحاديثه كلها موضوعة كما بينا آنفًا من أقوال أئمة الجرح والتعديل ونقلها الإمام الذهبي في «الميزان» (٦٦١٧/٣٢٥/٣)، وأقرها.



أحكام الاستحاضة

إعداد د/عزة محمد رشاد (أم تميم)

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد:

فقد ذكرنا في الحلقة السابقة أن للمستحاضة أحوالاً ثلاثة، إما أن تكون مبتدأة، أو معتادة، أو متحيِّرة، وذكرنا المبتدأة وما يتعلق بها من أحكام، ونشرع في هذه الحلقة- بإذن الله تعالى- في ذكر المعتادة وما يتعلق بها من أحكام، سائلين الله جل وعلا أن ينفع بها، وأن يجعلها في ميزان حسناتنا؛ إنه سميع قريب مجيب الدعاء.

الحالة الثانية: المعتادة: وهي التي لها عادة معروفة.

اختلف الفقهاء في المستحاضة المعتادة على النحو التالي:

القول الأول: ذهب الحنفية إلى أنه إذا كان للمرأة عادة معروفة كستة أيام أو سبعة، ورأت الدم زيادة على عادتها، واستمر الدم وجاوز أكثر الحيض وهو- عشرة أيام- فهذه الزيادة تعد استحاضة، وإن انقطع قبل تمام العشرة فهو حيض؛ لأنه أمكن جعله حيضًا. (المبسوط للسرخسي ١٧٨/٣).

واختلفوا هل تترك الصلاة والصوم أم لا؟ على قولين:

الأول: تؤمر بالاغتسال وتصلي وتصوم، لأن هذه الزيادة مترددة بين الحيض والاستحاضة فلا تترك الصلاة مع التردد، ولأن هذه الزيادة لا تكون حيضًا إلا بشرط وهو الانقطاع قبل أن يجاوز الدم عشرة أيام، وذلك أمر مشكوك فيه فلا تترك الصلاة لأمر مشكوك فيه.

الثاني: أنها لا تؤمر بالاغتسال ولا بالصلاة؛ لأنها حائض بيقين وفي خروجها من الحيض شك، فإن جاوز العشرة أدركت أن الأيام التي جلستها بعد أيام عادتها كانت استحاضة، فحينئذ تؤمر بقضاء ما تركت من الصلوات بعد أيام عادتها- البناية شرح الهداية (٦٦٤/١).

واستدلوا بما روي عن عدي بن ثابت، عن أبيه، عن جده، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المستحاضة تدع الصلاة أيام أقرائها، ثم تغتسل، وتتوضأ لكل صلاة، وتصوم، وتصلي» (أخرجه أبو داود (٢٩٧) والترمذي (١٢٦) وابن ماجه (٦٢٥)، وقال الألباني: حديث صحيح- مشكاة المصابيح (٥٦٠).

القول الثاني: ذهب المالكية إلى أنه إن تمادى بالمرأة دم حيض ففي ذلك خمسة أقوال:

أحدها: أنها تبقى أيامها المعتادة وتستظهر بثلاثة

أيام، ثم تكون مستحاضة، تغتسل وتصلي وتصوم وتطوف إن كانت حاجة ويأتيها زوجها، وهو ظاهر رواية ابن القاسم عن مالك.

الثاني: أنها تقعد أيامها المعتادة والاستظهار، ثم تغتسل استحبابًا، وتصلي احتياطًا، وتصوم وتقضي الصيام، ولا يطؤها زوجها، ولا تطوف طواف الإفاضة إن كانت حاجّة، إلى تمام الخمسة عشر يومًا، فإذا بلغت الخمسة عشر يومًا اغتسلت إيجابًا، وكانت مستحاضة، وهو رواية ابن وهب عن مالك.

الثالث: أنها تقعد إلى تمام الخمسة عشر يومًا، ثم تغتسل وتصلي وتكون مستحاضة.

الرابع: أنها تقعد أيامها المعتادة، ثم تغتسل وتصلي وتكون مستحاضة من غير استظهار.

الخامس: أنها تقعد أيامها المعتادة، ثم تغتسل وتصلي وتصوم ولا يأتيها زوجها، فإن انقطع عنها الدم ما بينها وبين خمسة عشر يومًا علم أنها حيضة انتقلت ولم يضرها ما صامت وما صلت، وتغتسل عند انقطاعه، وإن تمادى بها الدم على خمسة عشر يومًا علم أنها كانت مستحاضة، وأن ما مضى من الصيام والصلاة في موضعه. (المقدمات لابن رشد: ١/١٣١).

القول الثالث: ذهب الشافعية إلى أن المعتادة إما أن تكون مميزة أو لا.

فإن كانت مميزة: فحكمها أنها تعمل بالتمييز لا بالعادة. (الحاوي الكبير: ١/٣٩٠).

واعتبار التمييز بثلاثة شروط:

أحدها: أن يكون الدم مختلفًا، فبعضه أسود ثخين وبعضه أحمر رقيق.

الثاني: أن يكون سواد الدم قدرًا يكون حيضًا، وهو أن يبلغ يومًا وليلة ولا يتجاوز خمسة عشر، فإن قصر عن يوم وليلة أو تجاوز خمسة عشر فهو دم استحاضة.

الثالث: أن يتجاوز الدم الأحمر خمسة عشر يومًا ليدخل الاستحاضة في الحيض، فإن انقطع في خمسة عشر يومًا فكلا الدمين سواده وحمرته حيض. (الحاوي الكبير: ١/٣٩١).

واستدلوا بحديث فاطمة بنت أبي حبيش أنها كانت تستحاض، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: «إِذَا كَانَ دَمُ الْحَيْضَةِ فَإِنَّهُ أَسْوَدُ يُعْرَفُ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَأَمْسِكِي عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِذَا كَانَ الْآخَرُ فَتَوَضَّئِي وَصَلِّي فَإِنَّمَا هُوَ عِرْقٌ»(صحيح سنن أبي داود (٢٨٦)، والنسائي (٣٦٣)، والإرواء (٢٠٤)).

حيث ردها النبي صلى الله عليه وسلم إلى تمييزها واعتبار لون الدم.

ولأن الحيض متعلق بدم وأيام، فوجب أن يقدم الدم على الأيام، كما في العدة تقدم الأقراء على الشهور.

ولأن ما خرج من مخرج واحد إذا التبس وأمكن تمييزه بصفاته كان التمييز بصفاته أولى كالمني والمذي. (الحاوي الكبير ١/٣٩٠).

وإن كانت معتادة غير مميزة بأن سبق لها حيض وطهر وهي تعلمهما قدرًا ووقتًا لكن فقدت شرط التمييز، فحكمها: أنها ترد إلى عادتها قدرًا ووقتًا. (مغني المحتاج ١/٢٨٧).

واستدلوا: بما روي عن أم سلمة أنها قالت: إن امرأة كانت تهراق الدماء على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وإن أم سلمة سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن أمرها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لتنظر عدد الأيام والليالي التي كانت تحيض قبل أن يكون بها الدم الذي كان وقدرهن من الشهر، فلتترك الصلاة قدر ذلك، فإذا جاوزت ذلك فلتغتسل، ثم لتستثفر بثوبها ولتصل» (أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٩٣/٢٣)، والدارقطني (٨٤٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٥٧٩)، وقال الألباني: حديث صحيح؛ مشكاة المصابيح (٥٥٩)).

القول الرابع: ذهب الحنابلة إلى أن المعتادة - وهي التي تعرف وقت حيضها وطهرها، لها أحوال:

الحالة الأولى: أن تكون معتادة لا تمييز لها، وذلك بأن يكون الدم على صفة واحدة لا يتميز بعضه عن بعض، أو لا تستطيع التمييز بين دم الحيض ودم الاستحاضة فتجلس أيام عادتها فإن انقضت تغتسل وتصلي.

واستدلوا: بما روي عن عائشة، أن فاطمة بنت أبي حبيش، سألت النبي صلى الله عليه وسلم قالت: إني أستحاض فلا أطهر، أفأدع الصلاة، فقال: «لا، إن ذلك عرق، ولكن دعي الصلاة قدر الأيام التي كنت تحيضين فيها، ثم اغتسلي وصلي»(أخرجه البخاري ٣٢٥).

الحالة الثانية: أن تكون معتادة مميزة، فإن اتفقت العادة والتمييز عمل بهما. وإن لم يتفقا ففيه روايتان:

الرواية الأولى: تقدم العادة على التمييز، وهو ظاهر المذهب. (المغني لابن قدامة ١/٢٣٢)؛ لحديث أم حبيبة وفيه: «امكثي قدر ما كانت

تحبسك حيضتك ثم اغتسلي» فكانت تغتسل عند كل صلاة» (أخرجه مسلم ٣٣٤).

فقد ردَّ النبي صلى الله عليه وسلم هذه المرأة إلى عادتها ولم يستفصل بين كونها مميزة أم لا.

الرواية الثانية: يقدم التمييز على العادة، وهو ظاهر كلام الخرقي. (المغني لابن قدامة ٢٣٢/١)؛ لحديث فاطمة بنت أبي حبيش أنها كانت تستحاض، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: «إِذَا كَانَ دَمُ الْحَيْضَةِ فَإِنَّهُ أَسْوَدُ يُعْرَفُ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَأَمْسِكِي عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِذَا كَانَ الْآخَرُ فَتَوَضَّئِي وَصَلِّي فَإِنَّمَا هُوَ عِرْقٌ» (صحيح سنن أبي داود (٢٨٦)، والنسائي (٣٦٣)، والإرواء (٢٠٤)).

أقوال العلماء في المسألة

جاء في المبسوط للسرخسي (١٧٨/٣): «اعلم بأن صاحبة العادة المعروفة إذا رأت الدم زيادة على عادتها المعروفة تجعل ذلك حيضًا ما لم يجاوز أكثر الحيض فإن جاوز ردت إلى أيام عادتها فيجعل ذلك حيضها وما سواه استحاضة؛ لأن طبع المرأة لا يكون على صفة واحدة في جميع الأوقات فيزداد حيضها تارةً باعتبار قوة طبعها، وينقص أخرى بضعف طبعها، وأمر الحيض مبني على الإمكان فإذا لم تجاوز العشرة فالإمكان قائم في الكل، وإن جاوز العشرة فقد صارت مستحاضة لما رأت زيادة على العشرة».

جاء في المقدمات لابن رشد (١٣٠/١): «إن تمادى بالمرأة الدم المحكوم له بأنه دم حيض ففي ذلك خمسة أقوال: أحدها أنها تبقى أيامها المعتادة وتستظهر بثلاثة أيام ثم تكون مستحاضة تغتسل وتصلي وتصوم وتطوف إن كانت حاجَّة مباحة ويأتيها زوجها، ما لم تر دمًا تنكره بعد مضي أقل مدة الطهر من يوم حكم باستحاضتها، وهو ظاهر رواية ابن القاسم عن مالك؛... والقول الثاني: أنها تقعد أيامها المعتادة والاستظهار، ثم تغتسل استحبابًا، وتصلي احتياطًا، وتصوم وتقضي الصيام، ولا يطؤها زوجها، ولا تطوف طواف الإفاضة إن كانت حاجة، إلى تمام الخمسة عشر يومًا. فإذا بلغت الخمسة عشر يومًا اغتسلت إيجابًا، وكانت مستحاضة، وهذا دليل رواية ابن وهب عن مالك.. والقول الثالث: أنها تقعد إلى تمام الخمسة عشر يومًا، ثم تغتسل وتصلي وتكون مستحاضة، والقول الرابع: أنها تقعد أيامها المعتادة، ثم تغتسل وتصلي وتكون مستحاضة من غير استظهار، وهو قول محمد بن مسلمة، والقول الخامس: أنها تقعد أيامها المعتادة، ثم تغتسل وتصلي وتصوم ولا يأتيها زوجها، فإن انقطع عنها الدم ما بينها وبين خمسة عشر يوما علم أنها حيضة انتقلت ولم يضرها ما صامت ولا ما صلت... وتغتسل عند انقطاعه، وإن تمادى بها الدم على خمسة عشر يومًا علم أنها كانت مستحاضة، وأن ما مضى من الصيام والصلاة في موضعه، ولم يضره امتناعه من الوطء هذا في المعتادة».

جاء في مغني المحتاج (٢٨٧/١): «المعتادة غير المميزة بأن سبق لها حيض وطهر وهي تعلمهما قدرًا ووقتًا فترد إليهما قدرًا ووقتًا ويحكم للمعتادة المميزة بالتمييز».

جاء في المغني (٢٣٢/١): «القسم الثالث من أقسام المستحاضة: من لها عادة وتمييز وهي من كانت لها عادة فاستحيضت، ودمها متميز بعضه أسود وبعضه أحمر، فإن كان الأسود في زمن العادة فقد اتفقت العادة والتمييز في الدلالة، فيعمل بهما. وإن كان أكثر من العادة أو أقل ويصلح أن يكون حيضًا، ففيه روايتان: إحداهما، يقدم التمييز، فيعمل به، وتدع العادة، وهو ظاهر كلام الخرقي؛ لقوله « فكانت ممن تميز تركت الصلاة في إقباله ». ولم يفرق بين معتادة وغيرها. واشترط في ردها إلى العادة أن لا يكون دمها متصلًا، وهو ظاهر مذهب الشافعي؛ لأن صفة الدم أمارة قائمة به، والعادة زمان منقض؛ ولأنه خارج يوجب الغسل، فرجع إلى صفته عند الاشتباه كالمني. وظاهر كلام أحمد اعتبار العادة. وهو قول أكثر الأصحاب».

الراجح

والذي يظهر لي بعد عرض أقوال الفقهاء وأدلتهم رجحان ما ذهب إليه الشافعية وهو أن المعتادة إن كانت مميزة تستطيع أن تميِّز لون دم الحيض وصفته وقدره عن لون دم الاستحاضة؛ فتعمل بالتمييز، فما كان على صفة دم الحيض فهو حيض، وما كان على صفة دم الاستحاضة فهو استحاضة؛ لقوله صلى الله عليه وسلم لفاطمة بنت أبي حبيش: «إِذَا كَانَ دَمُ الْحَيْضَةِ فَإِنَّهُ أَسْوَدُ يُعْرَفُ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَأَمْسِكِي عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِذَا كَانَ الْآخَرُ فَتَوَضَّئِي وَصَلِّي فَإِنَّمَا هُوَ عِرْقٌ»، وإن كانت غير مميزة بأن كانت لا تستطيع تمييز لون دم الحيض عن لون دم الاستحاضة فترد إلى عادتها قدرًا ووقتًا، والله تعالى أعلم.



وصايا نافعة

إعداد: د. صالح بن حميد
إمام وخطيب المسجد الحرام

الحمد لله، جَعَلَ لكل شيء قَدرًا، وأحاط بكل شيء خُبْرًا، وأسبل على الخلائق من فضله سترًا، أحمده -سبحانه- على جزيل نعمائه شكرًا، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أدخرها ليوم العرض في الأخرى، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبد الله ورسوله، أرسله للعالمين كافةً، عُذْرًا ونُذْرًا، فقام بالدعوة إلى الله سرًا وجهرًا، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى أصحابه، ورضي الله عنهم وأرضاهم وأعظم لهم أجرًا، والتابعين ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليمًا كثيرًا وتترى.

أما بعد: فأوصيكم ونفسي -أيها الناس- بتقوى الله، فاتقوا الله -رحمكم الله-، فتقوى الله هي الوصية الجامعة، والموعظة النافعة، فاتقوه واعلموا أنكم ملاقوه، واحذروه واذكروه، واشكروا له واستغفروه، ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾(الطلاق: ٢-٣).

أيها المسلمون: اغتنموا حياتكم، واحفظوا أوقاتكم، فالأيام محدودة، والأنفاس معدودة، وكل دقة قلب ينقص بها العمرُ، وكل نَفَس يُدني من الأجل، واعلموا أن هذا العمل القصير، هو السبيل إلى حياة الخلود، فإما نعيم مقيم، وإمَّا عذاب أليم، عياذًا بوجه الله الكريم، وإذا وازَنَ العاقلُ هذه الحياةَ القصيرةَ بالخلود المنتَظَر عَلِمَ أن كلَّ نَفَس من أنفاسه في هذه الدنيا يَعدلُ أحقابًا وأحقابًا، وآلافًا مؤلَّفة من الأعوام والسنين لا تنقضي ولا تتناهى في نعيم لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع، نسأل الله الكريم من فضله، فالعاقل لا يضيع نفيس عمره بغير عمل صالح، وإنه ليحزن على ما يذهب منه بغير عوض.

وإذا كان كذلك -يا عباد الله- فاعتبِروا بقوارع العبَر، وتدبَّروا بسوابق الخبر، وتفكَّروا في حوادث الأيام والغِيَر، ففيها المعتبَر والمزدَجَر، واحذروا زخارفَ الدنيا المُضلَّة، فمَنْ تَكَثَّر منها لم يزدد بها إلا قلةً، فأهل الدنيا ينظرون إلى الرئاسات ويحبون الجمع والثناء والمكاثَرات، ويقتلهم التحاسد والتنافس، والتهارج والتهارش، وأهل الآخرة لا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، و ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(الحشر: ١٠).

يا عبد الله: أيُّ نَفْس لم تحمل ظُلمًا؟! وأي جارحة لم تقترف إثمًا؟! فرققوا قلوبكم- وفقني الله وإياكم- بذكر هاذم اللذات، فعلَّها أنْ تلين، وعِظُوها بفتنة القبر، فهو حق يقين، وذَكِّروها بيوم الحساب، فهو علم اليقين وعين اليقين، يوم خضوع الرقاب، وتقطع الأسباب وقطيعة الأنساب، ﴿يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ (النَّبأ: ٤٠)، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾(الشعراء: ٨٨-٨٩)، ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾(الانفطار: ١٩)، وإن ما توعدون لآت، وليس بين العبد وبين القيامة إلا الممات.

من علامات توفيق الله للعبد:

واعلموا-رحمني الله وإياكم- أن من علامات توفيق الله للعبد تيسير الطاعة وموافقة السُّنة وصحبة أهل الصلاح، وبذل المعروف، وحفظ الوقت، والاهتمام بشؤون المسلمين؛ فكن-يا عبد الله- سليم الصدر، نقي القلب، أَحِبَّ لأخيك ما تُحِبُّ لنفسك، واعلم أن سعادة غيرك لا تأخذ من سعادتك، وغناه لا ينقص من رزقك، وصحتُه لا تُسلب عافيتك، ومن رَفَقَ بعباد الله رَفَقَ الله به، ومن رحمهم رحمه، ومن نفعهم نفعه، ومن سترهم ستره، ومن أحسن إليهم أحسن الله إليه، فالله- تعالى- لعبده كما يكون العبد لخلقه.

وتأمَّلْ قولَه-عز شأنه-: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾(القَصَص: ٧٧)، فجميل أن يكون إحسانُك من جنس إحسان الله إليكَ، فإن كان رزقًا فتصدَّقْ، وإن كان علمًا فعَلِّمْ، وإن سعادة فمَنْ حَوْلَكَ أَسْعِدْ.

والتغافل عن الزلات من أرقى شِيَم الكرام، فكلُّ الناس خطاؤون، ومن تتبع الزلات تَعِبَ وأتعب، والعاقل مَنْ ينصرف عن ذلك كله؛ لتصفوَ له عشرتُه، وتحلو له مجالسه، ويسلم له دِينُه وعِرْضُه.

ومن حسب كلامه من عمله قلَّ كلامُه إلا فيما يعنيه، وأعظم ما يدخره العبد صدق الحديث، وترك ما لا يعني، وسلامة قلب، والورع في الخلوات، وحُسْن الخُلُق مع الديانة، وصدق الإخاء مع الأمانة.

من دلائل ذوق حلاوة الإيمان:

معاشرَ الأحبة: ومن دلائل ذوق حلاوة الإيمان وتذوق طعم الطاعات: طمأنينة القلب، وانشراح الصدر، والإقبال على الخير، وحُبُّ الدِّين، والغيرة على الحرمات، ومودة أهل الصلاح، والسعي في عز المؤمنين، وقد سُئل النبي-صلى الله عليه وسلم-: ما خير ما أُعطِيَ الإنسانُ، فقال: «حُسْنُ الخُلُق» (رواه البخاري في الأدب المفرد بإسناد صحيح).

من علامات حسن الخلق:

وإن من علامات حسن الخلق: قلة الخلاف وترك تطلُّب العثرات، والتماس الأعذار، واحتمال الأذى، وطلاقة الوجه، ولين الكلام، والانشغال بعيوب النفس.

والعلاقات تدوم بالتغاضي، وتزداد بالتراضي، وتمرض بالتدقيق، وتموت بالتحقيق، وليس عيبًا أن تُخطئ، ولكن من العيب ألا تتعلم من أخطائك، فإذا جهلتَ فاسأل، وإذا غضبتَ فأمسك، والكريم لا يمُنُّ، والمخلص لا يندم، ومن زرع الجميل حصد الجزيل.

وانْتَقُوا الإخوانَ والأصحابَ والمجالسَ، وخذوا بأحسن الحديث إذا حدَّثتُم، وبأحسن الاستماع إذا حُدِّثتُم، وبأحسن البِشْر إذا لقيتُم، وبأيسَر المئونة إذا خلفتم.

ودعوا محادثة اللئيم ومنازعة اللجوج، ومماراة السفيه، واعلموا أن محادثة الرجال تغذي الألباب، وصنائع المعروف تقي مصارع السوء، فالتمسوها-رحمكم الله- في إطعام مسكين، وكسوة عار، وتأمين خائف، ورفع مظلمة، وكفالة يتيم، ومساعَدة مريض، وعون محتاج.

وبعدُ عبادَ الله: إذا أقبلت الفتنُ فلا تخوضوا

فيما لا يعنيكم، والزموا الصمتَ وتمسَّكوا بالسُّنَّة، وما أشكل عليكم فقفوا وقولوا: الله أعلَمُ، وإذا احتجتُم فاسألوا أهلَ العلم الثقات الأثباتَ، ولا تتجاوزوهم؛ فالمتعجِّلَ يقول قبل أن يعلم، ويُجيب قبل أن يَفهم، يقول ابن مسعود -رضي الله عنه-: «لا يزال الناس بخير ما أخذوا عن أكابرهم وأُمَنائهم وعلمائهم، فإذا أخذوا عن صغارهم وشرارهم هَلَكوا».

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾(العَاديَات: ٩-١١).

أيها المسلمون: الزمان لا يثبت على حال، ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾(آل عمْرَان: ١٤٠)، فتارةً يُفلح الموالي، وتارةً يَشمت الأعادي، وطَوْرًا في حال فقر، وطورًا في حال غنى، ويومًا في عز، ومن طاوع شهوتَه فضَحَتْهُ، والسعيدُ في كل ذلك مَنْ لازَمَ أصلاً واحدًا؛ ألا وهو تقوى الله، فتقوى الله إن استغنى العبدُ زانَتْه، وإن افتقر فتَحَتْ له أبوابَ الصبر، وإن ابتُليَ حملته، وإن عُوفيَ تمت عليه النعمةُ، ولا يضره إن نزل به الزمانُ أو صَعدَ؛ لأن التقوى أصل السلامة، وهي حارس لا ينام.

ألا فاتقوا الله ثم اتقوا الله، فتقواه -سبحانه- عُروة ليس لها انفصام، مَنْ تَعَلَّقَ بها كان له -بإذن الله- حُسنُ العاقبة، والحفظ من شرور كل نائبة. أسعدنا الله وإياكم بلزوم ما أمر به، وجَنَّبنا وإياكم أسباب سخطه وغضبه.

هذا وصلوا وسلموا على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، نبيكم محمد رسول الله؛ فقد أمركم بذلكم ربُّكم في مُحكم تنزيله فقال -وهو الصادق في قيله قولاً كريمًا-: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾(الأحْزاب: ٥٦).

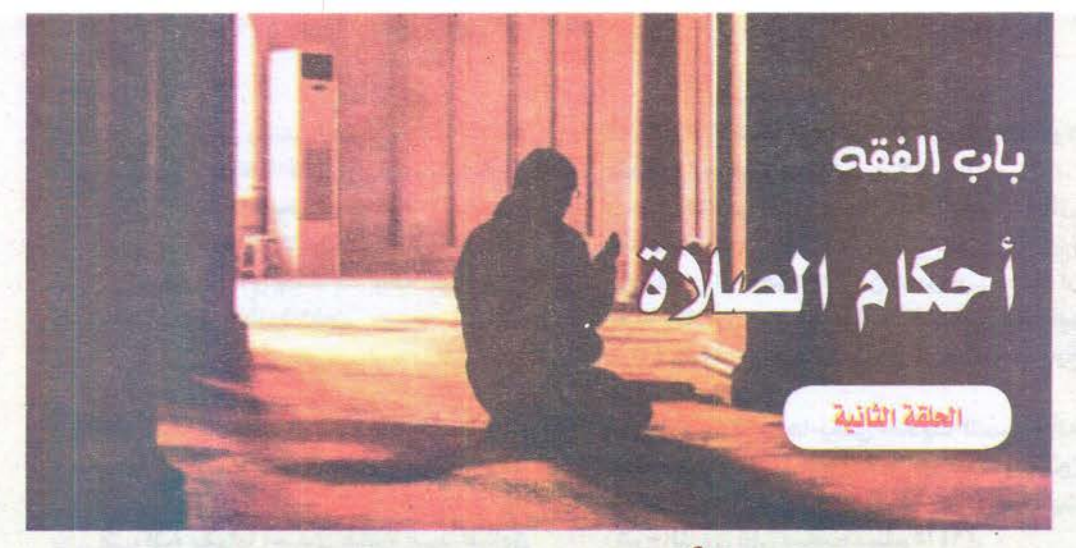
اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك نبينا محمد الحبيب المصطفى والنبي المجتبى وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وارضَ اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين؛ أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعن الصحابة أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك، وجودك، وإحسانك، وكرمك، ولطفك يا أكرم الأكرمين.

عزاء واجب

توفي فضيلة الأستاذ الدكتور: علي الشريف، أستاذ التفسير وعلومه بكلية أصول الدين والدعوة، جامعة الأزهر، وقد كان رحمه الله من العلماء العاملين، نسأل الله أن يحشره مع الأنبياء والصديقين والشهداء، وأن يتجاوز عنه، وأن يبدله بالحسنات إحسانًا، وبالسيئات عفوًا منه وغفرًا، ومجلة التوحيد، وأعضاء مجلس إدارة الجمعية يتقدمون بخالص العزاء لأسرة المتوفى، رحمه الله تعالى.

عزاء واجب

بمزيد من الأسى ننعي الحاج محمد عبد الحليم عشوش، والد الأخ جودة محمد عشوش، إمام مسجد أنصار السنة ببلبيس، رحم الله المتوفى، وإنا لله وإنا إليه راجعون.



ما يُقالُ عَقِبَ الصلاة

إعداد: د . حمدي طه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ،

فقد تكلمنا في الحلقة السابقة عما يقال عقب الصلاة، فذكرنا الأحاديث التي وردت في ذلك وما يُستحب للمصلي فعله عَقِبَ الصلاة، ونكمل في هذه الحلقة الحديث عما يُقال عقبَ الصلاة من أذكار.

ما ورد من الأحاديث ثلاثًا وثلاثين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «جاء الفقراء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: ذهب أهل الدُّثُور من الأموال بالدَّرجات العلا والنعيم المقيم، يُصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم، ولهم فضْلٌ من أموال يحجُّون بها ويعتمرون، ويجاهدون ويتصدَّقون، قال: ألا أحدثكم بما إنْ أخذتم به أدركتم من سبقكم ولم يدرككم أحدٌ بعدكم، وكنتم خيرَ مَنْ أنتم بين ظَهْرَانيْهم إلا من عمل مثله؟ تسبِّحُون وتحمدون وتكبِّرُون خلف كل صلاة ثلاثًا وثلاثين، فاختلفنا بيننا فقال بعضنا: نسبح ثلاثًا وثلاثين، ونحمد ثلاثًا وثلاثين، ونكبر أربعًا وثلاثين، فرجعت إليه فقال تقول: سبحان الله والحمد لله والله أكبر، حتى يكون منهن كلهن ثلاثًا وثلاثين» رواه البخاري ومسلم.

وهذا حديث عظيم، فيه دليل على أن الصحابة رضي الله عنهم لشدة حرصهم على الأعمال الصالحة، وقوة رغبتهم في الخير كانوا يحزنون على ما يتعذر عليهم فعله من الخير، مما يقدر عليه غيرهم. فكان الفقراء يحزنون على فوات الصدقة بالأموال التي يقدر عليها الأغنياء، ويحزنون على التخلف عن الخروج في الجهاد، لعدم القدرة على آلته، وقد أخبر الله عنهم بذلك في كتابه فقال: «وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ»، وفي الحديث: أن الفقراء غبطوا أهل الدثور-الدثور هي الأموال- بما يحصل لهم من أجر الصدقة بأموالهم، فدلهم النبي صلى الله عليه وسلم على صدقات يقدرون عليها.

مسألة: ما هي كيفية التسبيح؟

هذا الحديث ورد أيضًا عند مسلم عن أبي هريرة بلفظ (تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين)، وزاد في الحديث: يقول سهيل- راوي الحديث-: إحدى عشرة، إحدى عشرة، إحدى عشرة، فجميع ذلك كله ثلاثة وثلاثون. ولفظ: إحدى عشرة مدرج من قول سهيل.

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي: وأما ألفاظ الحديث، فهي مختلفة؛ ففي رواية عبيد الله بن عمر التي خرجها البخاري هاهنا: (تسبحون وتحمدون وتكبرون ثلاثًا وثلاثين)، وفسره بأنه يقول: (سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر) حتى يكون منهن كلهن ثلاثًا وثلاثين.

وقد تبين أن المفسر لذلك هو أبو صالح، وهذا يحتمل أمرين:

أحدهما: أنه يجمع بين هذه الكلمات الثلاث، فيقولها ثلاثًا وثلاثين مرةً، فيكون مجموع ذلك تسعًا وتسعين.

والثاني: أنه يقولها إحدى عشرة مرةً، فيكون مجموع ذلك ثلاثًا وثلاثين.

وهذا هو الذي فهمه سهيل، وفسر الحديث به، وهو ظاهر رواية سمي، عن أبي صالح- أيضًا.

ولكن؛ قد روي حديث أبي هريرة من غير هذا الوجه صريحًا بالمعنى الأول (فتح الباري . لابن رجب ٢٤٥/٥).

لذا قيل: يؤتى به جمعًا بالعطف بالواو، فيقال: سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر إلى آخر العدد المحدد.

وقيل: يؤتى به بالإفراد، فيقال: سبحان الله، سبحان الله إلى آخر العدد المحدد.

ثم يقال: الحمد لله، الحمد لله... إلى آخر العدد المحدد.

ثم يقال: الله أكبر، الله اكبر... إلخ العدد المحدد.

والكيفية الأولى هي مذهب أبي صالح السمان ذكوان الزيات المدني أحد رواة حديث أبي هريرة. فقد جاء فيه أن سميا مولى أبي بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام قال: حدثت بعض أهلي بهذا الحديث، فقال: وهمت، إنما قال: تسبح الله ثلاثًا وثلاثين، وتحمد الله ثلاثًا وثلاثين، وتكبر الله ثلاثًا وثلاثين، فرجعت إلى أبي صالح، فقلت له ذلك، فأخذ بيدي، فقال: الله أكبر وسبحان الله والحمد لله، الله أكبر وسبحان الله والحمد لله حتى تبلغ من جميعهن ثلاثة وثلاثين. أخرجه مسلم.

وهذا منقول عن الإمام أحمد، قال أبو داود السجستاني: سمعت أحمد سئل عن التسبيح في دبر الصلاة يقطعه، أو يقول: سبحان الله، والحمد لله، لا إله إلا الله، والله أكبر؟ فقال: يقول كذا، ولا يقطعها. (مسائل الإمام أحمد لأبي داود ص٧٧).

ورجح القاضي عياض الكيفية الثانية؛ فقال: وقد ذكر مثل هذا مالك في موطئه عن أبي هريرة موقوفًا، وقال: وهذا أولى من تأويل أبى صالح: أن ثلاثًا وثلاثين من جميعهن، إذ قد فسر ذلك أبو هريرة في هذا الحديث. (إكمال المعلم شرح صحيح مسلم ٣٠٥/٢).

قال النووي: وظاهرها -يعني أحاديث التسبيح- أنه يسبح ثلاثًا وثلاثين مستقلة، ويكبر ثلاثًا وثلاثين مستقلة، ويحمد كذلك، وهذا ظاهر الحديث (شرح النووي على صحيح مسلم ٩٤/٥).

وقال ابن تيمية: "والرَّاجح في هذا الحديث أن يَقُول: سبحان الله ثلاثًا وثلاثين، والحمد لله ثلاثًا وثلاثين، والله أكبر أربعًا وثلاثين، ويُؤيِّده ما رَوَاه كَعْب بْن عُجْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: مُعَقِّبَاتٌ لا يَخِيبُ قَائِلُهُنَّ أَوْ فَاعِلُهُنَّ دُبُرَ كُلِّ صَلاةٍ مَكْتُوبَةٍ: ثَلاثٌ وَثَلاثُونَ تَسْبِيحَةً وَثَلاثٌ وَثَلاثُونَ تَحْمِيدَةً وَأَرْبَعٌ وَثَلاثُونَ تَكْبِيرَةً. رواه مسلم شرح عمدة الأحكام ١/٢.

قلت: ويؤيد ذلك أيضًا رواية أبي هريرة رضي الله عنه التالية.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- «من سبَّح الله في دُبُر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين، وحمد الله ثلاثًا وثلاثين، وكبَّر الله ثلاثًا وثلاثين، فتلك تسعة وتسعون، وقال تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر، رواه مسلم وأحمد.

ما ورد من الأحاديث خمسًا وعشرين:

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال «أمرنا أن نسبِّحَ في دُبُر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين، ونحمد ثلاثًا وثلاثين، ونكبِّر أربعًا وثلاثين، فأتيَ رجلٌ في منامه فقيل له: إنه أمَرَكم محمدٌ أن تسبِّحوا في دُبُر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين، وتحمدوا ثلاثًا وثلاثين، وتكبِّروا أربعًا وثلاثين؟ قال نعم، قال: اجعلوها خمسًا وعشرين، واجعلوا فيه التهليل، فلما أصبح أتى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فأخبره، فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: «فافعلوه» رواه أحمد والنَّسائي. ورواه النَّسائي كذلك من

طريق ابن عمر رضي الله عنهما، وجاء فيه «.. سبِّحوا خمسًا وعشرين، واحمدوا خمسًا وعشرين، وكبِّروا خمسًا وعشرين، وهللوا خمسًا وعشرين، فتلك مائة...».

وهذه الرواية تبيِّن أن من السنة أيضًا أن يقول المصلي عقب الصلاة التسبيح خمسًا وعشرين، والتحميد خمسًا وعشرين، والتكبير خمسًا وعشرين، والتهليل خمسًا وعشرين؛ فالمجموع مائة.

ما ورد من الأحاديث ذكر التسبيح ثلاثًا وثلاثين، والتحميد ثلاثًا وثلاثين، والتكبير أربعًا وثلاثين، منها ما رواه كعب بن عُجْرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مُعَقِّبات لا يخيب قائلهن أو فاعلهن دُبُر كل صلاة مكتوبة: ثلاث وثلاثون تسبيحة، وثلاث وثلاثون تحميدة، وأربع وثلاثون تكبيرة» رواه مسلم والنسائي.

وهذه الرواية تبيِّن أن من السنة أن يقول التسبيح والتحميد ثلاثًا وثلاثين ثلاثًا وثلاثين وأن يقول التكبير أربعًا وثلاثين فالمجموع مائة.

ويمكن للمصلي أن يأتي بتهليلة واحدة، ويقول بعدها مباشرة: "اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا مُعطيَ لما منعت، ولا ينفع ذا الجَدِّ منك الجَدُّ"؛ وذلك لما روى المغيرة بن شعبة أن النبي- صلى الله عليه وسلم- كان يقول في دُبُر كل صلاة مكتوبة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجَدِّ منك الجَدُّ» رواه البخاري ومسلم.

مسألة الجمع بين الاختلاف الوارد في أعداد التسبيح:

اختلف في تفضيل بعضها على بعض، فقال الحافظ ابن حجر: وجمع البغوي في شرح السنة بين هذا الاختلاف باحتمال أن يكون ذلك صدر في أوقات متعددة.

أولها عشرًا عشرًا، ثم إحدى عشرة إحدى عشرة، ثم ثلاثًا وثلاثين ثلاثًا وثلاثين.

ويحتمل أن يكون ذلك على سبيل التخيير، أو يفترق بافتراق الأحوال (فتح الباري).

وقال الشوكاني: وكل ما ورد من هذه الأعداد فحسن إلا أنه ينبغي الأخذ بالزائد، فالزائد. (نيل الأوطار ٢/٣٤٧).

فقال أحمد- في رواية الفضل بن زياد-، وسئل عن التسبيح بعد الصلاة ثلاثةً وثلاثين أحب إليك، أم خمسة وعشرين؟ قال: كيف شئت. قال القاضي أبو يعلى: وظاهر هذا: التخيير بينهما من غير ترجيح.

وقال- في رواية علي بن سعيد-: أذهب إلى حديث ثلاث وثلاثين. وظاهر هذا: تفضيل هذا النوع على غيره.

قلت: والأظهر عندي أن يعمل المسلم من هذه الأعداد بالأكثر في غالب أحواله؛ لأنه أحوط، ويعمل ببقية الأنواع في بعض الأحوال؛ إعمالاً للسنة الواردة في ذلك، مثل ما ورد في دعاء الاستفتاح، والتشهد في آخر الصلاة ونحو ذلك، فكل ذلك قد جاءت به السنة فيجوز التنويع بين هذه الأذكار فيقول بعضها أحيانًا ويقول البعض الآخر أحيانًا فالأمر فيه واسع، والله أعلم.

مسألة الاقتصار على الوارد في أعداد التسبيح:

ذكر هذه المسألة الحافظ ابن حجر في الفتح في شرحه لحديث أبي هريرة فقال: واستنبط من هذا أن مراعاة العدد المخصوص في الأذكار معتبرة، وإلا لكان يمكن أن يقال لهم: أضيفوا لها التهليل ثلاثًا وثلاثين. وقد كان بعض العلماء يقول: إن الأعداد الواردة كالذكر عقب الصلوات إذا رتب عليها ثواب مخصوص فزاد الآتي بها على العدد المذكور لا يحصل له ذلك الثواب المخصوص؛ لاحتمال أن يكون لتلك الأعداد حكمة، وخاصية تفوت بمجاوزة ذلك العدد، قال شيخنا الحافظ أبو الفضل في شرح الترمذي: وفيه نظر؛ لأنه أتى بالمقدار الذي رتب الثواب على الإتيان به فحصل له الثواب بذلك، فإذا زاد عليه من جنسه كيف تكون الزيادة مزيلة لذلك الثواب بعد حصوله. ويمكن أن يفترق الحال فيه بالنية، فإن نوى عند الانتهاء إليه امتثال الأمر الوارد ثم أتى بالزيادة فالأمر كما قال شيخنا لا محالة، وإن زاد بغير نية بأن يكون الثواب رتب على عشرة مثلا فرتبه هو على مائة فيتجه القول الماضي. وقد بالغ القرافي في القواعد فقال: من البدع المكروهة الزيادة في المندوبات المحدودة شرعًا، لأن شأن العظماء إذا حدُّوا شيئًا أن يوقف عنده ويعد الخارج عنه مسيئًا للأدب. (فتح الباري ٢/٣٢٩).

نسأل الله أن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال، وللحديث بقية إن شاء الله.

المسحُ علَى الجوَارِب والخِفَاف.. سُنَّةٌ نبَويَّة، وسِمَةٌ منهَجيَّة

الحمدُ لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه.. وبعد:

فمن خصائص الشريعة الإسلامية التي تميزت بها عن غيرها من الشرائع: التيسير ورفع الحرج عن المُكَلَّفين، وهذا مبدأ شامل لجميع الأحكام الشرعية لا يقتصر على باب دون باب، وهو وسيلة تعين على تحقيق العبودية لله عز وجل، والمسح على الجوارب والخفاف مثال جَليٌّ على هذا، فهو سنة نبوية، ورخصة شرعية يحبها الله ورسوله، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنّ الله تعالى يُحبُّ أن تُؤتى رخصُه كما يُحبُّ أن تُؤتى عزائمُه. وفي رواية: «كما يكرهُ أن تُؤتى معصيته» (صحيح الجامع: ١٨٨٥، ١٨٨٦).

وفي هذا المقال نعرض لجملة من الأحكام المتعلقة بهذه السنة النبوية المباركة، فنقول وبالله التوفيق.

إعداد: معاوية محمد هيكل

أولاً: المسح على الخفين عَلَمٌ على عقيدة أهل السنة وشعارٌ لهم، يميزهم عن أهل الأهواء والبدع

معلوم أن مسألة المسح على الخفين من مسائل الفقه وليست من مسائل العقيدة؛ ولكنها أُدْخِلَتْ في مسائل الاعتقاد لأجل أنَّ «أهل السنة» تميَّزوا بأنهم يرون المسح على الخفين خلافًا للطوائف المنحرفة من «الروافض» و«الخوارج» وغيرهم، ولأجل هذه المخالفة صارت هذه المسألة «عَلَمًا» يُمَيِّزُ أهل العقيدة الصحيحة عن أهل البدع والأهواء وأصحاب العقائد الباطلة، بل صارت «ميزانًا» منهجيًا يُفَرِّقُ به ما بين «السني» وما بين «الرافضي» و«الخارجي» ونحوهما. وهذا هو وجه إيراد المسألة في مصنفات كتب العقيدة السلفية.

ومن أوائل الأئمة الذين قرروا تلك المسألة الإمَامُ سُفيَان الثوري في «عقيدته» حيث قال لشعيب بن حرب بعد أن أملى عليه جملة من أصول أهل السنة والجماعة: يا شعيبُ بن حرب! لا ينفعكَ ما كتبتُ لكَ حتى ترى المسحَ على الخفين دونَ خلعهما أعدلَ عندكَ من غسلِ قدمَيك (أصول الاعتقاد للالكائي: ١/ ١٧٠).

بل قال رحمه الله: (من لم يمسح على الخفين فاتهموه على دينكم) (أبو نعيم في الحلية ٧/ ٣٢).

وعَدَّ سهل بن عبد الله التستري المسح على الخفين من خصال «أهل السنة» (السنة للالكائي ١/ ٣٣).

كما قرر ذلك أيضًا الإمام أبو حنيفة (في الفقه الأكبر ص٤) وأبو الحسن الأشعري في (الإبانة ص٦١)، والبربهاري في (شرح السنة، ص٣٠)

وقال الإمام محمد بن نصر المروزي: (وقد أنكر طوائف من أهل الأهواء والبدع من «الخوارج» و«الروافض» المسح على الخفين) ((السنة ص١٠٤) و(المجموع للنووي ١/ ٥٠٠)

وقال الإمَامُ النوَوِيُ: (أجمع من يُعتَدُّ به في الإجماع على جواز المسح على الخفين في السفر والحضر سواء كان لحاجة أو لغيرها... وإنما أنكرته «الشيعة» و«الخوارج» ولا يعتد بخلافهم) (شرح مسلم ٣/ ١٦٠).

وقال الإمام الشعبي: (واليهود لا يرون المسح على الخفين، وكذلك «الرافضة») (منهاج السنة ١/ ٣٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله-: (وقد تواترت السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم بالمسح على الخفين، وبغسل الرجلين، و«الرافضة» تخالف هذه السنة المتواترة، كما تخالف «الخوارج» نحو ذلك) (منهاج السنة ٤/ ١٧٤).

وقال ابن أبي العز شارحًا كلام الطحاوي: (ونرى المسح على الخفين في السفر والحضر كما جاء في الأثر)، قال: (تواترت السُّنَّة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسح على الخفين وبغسل الرجلين، و«الرافضة» تخالف هذه السنة المتواترة...) (شرح الطحاوية ص (٤٣٧، ٤٣٩).

وهذا دليل على أنَّ أهل السنة لا يُعَارضُون الآثار الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن صحابته الكرام بالأقْيسَة أو بالدلالات العقلية، وإنما يجعلونها «مُقَدَّمَة» على ما هو دونها من القياس والدلالة العقلية ونحو ذلك؛ لأنَّ منهجهم في الاستدلال يُؤْخَذُ من الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة.

ثانيا: حكم المسح على الخفَّين والنعلين:

المسحُ على الخُفَّين والنعلين ثابتٌ بالقرآن والسنة المُتَواترة والإجمَاع.

الدليل من القرآن:

أما القرآن فقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ) (سورة المائدة: ٦) على قراءة الجر في قوله «وأرجلكم» وهي قراءة سبعية، وبقراءة الجر تكون معطوفة على (رُؤوسِكم)؛ لأنها الأقرب إليها والعطف على الأقرب معروف في لغة العرب، فيكون حكم الرجل "المسح على الخف" لأنه هو الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم حينما يكون لابساً للخفين (انظر: سبل السلام للصنعاني" ١/ ١٠٦).

وقال ابن كثير رحمه الله: "هي محمولة على مسح القدمين إذا كان عليهما الخفَان؛ قاله أبو عبدَ الله الشافعيُ رحمه الله. (تفسير ابن كثير ٣/ ٥٣)

الأدلة من السنة

وأما السنة فقد بلغت الأحاديث التي تبين جواز المسح على الخفين قولاً وفعلاً حضراً وسفراً حد التواتر، ونقل ابن المنذر انظر: "الأوسط" (١/ ٤٣٠) عن الحسن البصري أنه قال: " حدثني سبعون من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنه مسح على الخفين" ومن هؤلاء العشرة المبشرون بالجنة، ونقل ابن قدامة عن الإمام أحمد أنه قال: " ليس في قلبي من المسح شيء، فيه أربعون حديثاً عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم " (انظر: "المغني" ١/ ٣٦٠).

ومن هذه الأحاديث:

١- عن المغيرة بن شُعبةَ رَضيَ اللهُ عنه قال: كنتُ مع النبيِّ صلى الله عليه وسلم في سَفرٍ، فأهويتُ لأنزعَ خُفَّيه، فقال: ((دَعْهما؛ فإنِّي أدخلتُهما طاهرتين، فمَسَح عليهما)) (رواه البخاري: ٢٠٦، واللفظ له ومسلم: ٢٧٤).

٢- عن عبد الله بن عُمرَ، عن سعد بن أبي وقَّاص عن ((النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه مَسَح على الخُفَّين))، وأنَّ عبدَ الله ابن عُمرَ سأل عُمرَ عن ذلك فقال: نعَمْ، إذا حدَّثك شيئًا سعدٌ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم، فلا تسألْ عنه غيرَه (رواه البخاري: ٢٠٢)

٣- عن همَّام بن الحارث، قال: رأيتُ جريرَ بنَ عبدِ الله بالَ، ثمَّ توضَّأ ومسَح على خفيه، ثم قام فصلَّى، فسُئل، فقال: ((رأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلَّم صَنَع مثلَ هذا)) قال إبراهيم: (فكان يُعجِبُهم؛ لأنَّ جريرًا كان من آخر مَن أسلَم) (رواه البخاري: ٣٨٧ واللفظ له ومسلم: ٢٧٢).

يعني أن هذا الحديث ليس منسوخًا بآية المائدة كما يدعيه البعض؛ لتأخر إسلام جرير.

٤- وعن أوس بن أبي أوس رضي الله عنه أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم «أتى كظامة قوم (يعني: الميضأة) فتوضأ ومسح على نعليه وقدميه. (صحيح سنن أبي داود ١٦٠).

وقال ابن عبد البر: " عمل بالمسح على الخفين أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر أهل بدر

والحديبية، وغيرهم من المهاجرين والأنصار، وسائر الصحابة والتابعين أجمعين، وفقهاء المسلمين في جميع الأمصار، وجماعة أهل الفقه والأثر كلهم يجيز المسح على الخفين في الحضر والسفر للرجال والنساء" (التمهيد: ١١/١٣٧)

ثالثا: ويكون المسح على ظاهر الخفّ فقط

لما جاء عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أنه قال: رأيتُ النبيّ صلى الله عليه وسلم يَمسحُ على الخفين على ظاهرهما. (صحيح سنن الترمذي ٩٨).

وقال علي رضي الله عنه بعد أن توضّأ ومسحَ على ظاهر قدمَيه: لولا أني رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فعلَ كما رأيتموني فعلتُ؛ لرأيتُ أنّ باطنَ القدمَين أحقُّ بالمسح من ظاهرهما. (سنن الدارمي ٧٤٢).

رابعا: شروط المسح على الخفين

(١) أن تكون الخفاف طاهرة:

فلا يصحُّ المسحُ على الخفّ النَّجس العَين؛ نصَّ على ذلك المالكية، والشافعيَّة، والحنابَلة.

(٢) أن يكون لابسًا لهما على طهارة: فعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: كنتُ مع النبيِّ صلى الله عليه وسلم في سفر فأهوَيتُ لأنزِعَ خُفَّيهِ فقال: دَعهُما فإني أدخلتُهُما طاهرتَين؛ فمسح عليهما. (متفق عليه: البخاري٢٠٦، مسلم ٢٧٤)

(٣) أن يكون مسحهما في الحدث الأصغر لا في الجنابة أو ما يوجب الغسل؛ ودليل ذلك حديث صفوان بن عسّال رضي الله عنه قال: (أمَرنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا كنّا سَفْرًا أو مسافرينَ ألّا نَنزِعَ أو نخلَعَ خفافَنا ثلاثةَ أيّام ولياليهنَّ مِن غائط ولا بول إلّا من الجَنابة) (صحيح ابن حبان: ١٣٢٠)

(٤) أن يكون المسح في الوقت المحدد شرعًا:

فقد سُئل عليُ بن أبي طالب عن وقت المسح على الخفين فقال رضي الله عنه: جعلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثلاثةَ أيام ولياليَهنّ للمسافر، ويومًا وليلة للمقيم. (صحيح مسلم: ٢٧٦).

وأمّا ما عدَا ذلكَ من الشُّروط فلم يَرِد في ذلك نَصّ يُقيِّد المَسْح بها.

قال ابن عثيمين رحمه الله: "المسح على الخف، الصحيح أنه لا يشترط فيه ما يشترطه الفقهاء من كونه ساترًا لمحل الفرض، وما سُمّي خُفًّا فهو خفٌّ سواء كان مخرقًا، أو رقيقًا، أو ثخينًا، أو سليمًا". (الشرح الممتع ٤/٣٩٧).

خامسا: والوضوء باقٍ إن خلع النعل أو الخف:

لما ثبت عن عليّ رضي الله عنه أنه: دعا بماء فتوضأ ومسحَ على نعلَيه ثم دخلَ المسجدَ فخلعَ نعلَيه ثم صلّى.(شرح معاني الآثار: ٦١٥).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "ولا ينتقضُ وضوءُ الماسح على الخف والعمامة بنزعهما، ولا يجبُ عليه مسحُ رأسِه ولا غسلُ قدمَيه" (الفتاوى الكبرى ٥/٣٠٥).

وقال ابن حزم: (الطَّهارةَ لا ينقُضُها إلّا الأحداث، أو نصٌّ واردٌ بانتقاضها، وخلعُ الخفَّين ليس حدثًا، ولم يرد نصٌّ يبيِّن أنَّ خلعَ الخفَّين سببٌ لانتقاض الوضوء، فصحَّ أنَّه على طهارَته، وأنَّه يصلي ما لم يحدث) (المحلى ١/٣٤١).

سادسًا: ولا ينتقضُ الوضوء- كذلك- بانتهاء وقت جواز المسح؛ لأنه لا دليل على نقض الوضوء بذلك، والأصل بقاء ما كانَ على ما كانَ؛ والمسحُ رخصة تتماشى مع قاعدة: رفع الحرَج والتَّيسير؛ وليس العكس.

قال ابن حزم رحمه الله: "ليس في شيء من الأخبار أنّ الطهارة تنتقضُ عن أعضاء الوضوء ولا عن بعضها بانقضاء وقت المسح؛ وإنما نهى صلى الله عليه وسلم عن أن يَمسَحَ أحد أكثر من ثلاث للمسافر أو يوم وليلة للمقيم. فمَن قالَ غيرَ هذا فقد أقحمَ في الخبَر ما ليس فيه، وقوّلَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ما لم يَقُلْ!" (المحلى: ١/٣٢٩)

وقال الإمام النووي رحمه الله بعد ذكره لثلاثة أقوال في المسألة: "الرابع: لا شيءَ عليه؛ لا غسلَ القدمَين، ولا غيره، بل طهارتهُ صحيحة يُصلّي بها ما لم يُحدِث كما لو لم يَخلَع. وهذا المذهبُ حكاه ابن المُنذر عن الحسن البصريّ وقتادة وسُليمان بن حرب؛ واختاره ابن المُنذر؛ وهو المُختارُ الأقوى" (شرح المهذب: ١/٥٢٧)

سابعا: المسح على الجوربَين سنة نبوية:

وليس جوازُ المسح مُقتصرًا على النّعلين والخُفَّين فحسب! بل على الجوربين كذلك.

فعن المُغيرة بن شعبة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم توضّأ ومسحَ على الجوربين والنّعلين. (صحيح سنن أبي داود: ١٥٩)

قال ابن منظور: "الجوربُ: لِفافة الرِّجْل" (لسان العرب: ١/٢٦٣)

وقال البهُوتي: "هو ما يُلبسُ في الرِّجْل على هيئة الخُفّ مِنْ غير الجلد" (الروض المربع: ٥٤)

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: بَعثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سريّة فأصابهم البَرْد، فلما قَدموا على رسولِ الله أمرَهُم أن يمسحوا على العصائب والتّساخين. (صحيح سنن أبي داود: ١٤٦)

قال الخطابي رحمه الله: "وقال بعضُهم: التّساخينُ: كلُّ ما يُسخّن به القدمُ؛ مِن خُفّ وجَورب ونحو ذلك. (غريب الحديث: ٢/٦١)

وقال الإمام أبو داود رحمه الله: "ومسحَ على الجوربين علي بن أبي طالب، وابنُ مسعود، والبراءُ ابن عازب، وأنس بن مالك، وأبو أمامة، وسهل بن سعد، وعَمرو بن حريث؛ ورُوِيَ ذلك عن عمر بن الخطاب، وابن عباس" (سنن أبي داود: ١/٤١).

وزاد القاسميُ في عَدّهم؛ فكان المجموعُ ستة عشرَ صحابيًا. (انظر: المَسح على الجوربين: ٥٥)

وقال إسحاق بن راهويه رحمه الله: مضت السنة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ومن بعدهم من التابعين: في المسح على الجوربين؛ لا اختلاف بينهم في ذلك. (المحلى: ٢/١١٨)

فهذا هو مذهبُ علماء الصّحابة وأفاضلهم؛ الذي لا يَعدلهُ مذهبٌ قطُّ؛ فاستمسكْ به كما في كلّ أمرٍ من أمور دينك.

قال ابن القيم رحمه الله: "وكما أنّ الصّحابة سادة الأمة وأئمّتها وقادتها فهُم ساداتُ المُفتين والعُلماء.

قال مُجاهد: العُلماءُ أصحابُ مُحمّد صلى الله عليه وسلم" (إعلام الموقعين: ١/١٢)

ورُوي عن الإمام أبي حنيفة أنه مسحَ على جوربَيه في مرضه، ثمّ قال لعُوّاده: "فعلتُ ما كنتُ أنهى الناسَ عنه" (شرح كنز الدقائق للزيلعي: ١/٥٢)

ثامنًا: ولا وجه للتّفريق بين الخفّ والجورب:

من حيثُ جواز المسح عليهما؛ لأن التفريق مخالفٌ للنصّ والأثر وصحيح القياس والنّظر!

قال ابن عمر رضي الله عنهما: "المسحُ على الجوربين كالمسح على الخفين" (مصنف عبد الرزاق: ٧٨٢)

قال القاسمي رحمه الله: "كلُّ المرويّ في المسح على الجوربين مرفوعًا إلى النّبيّ صلى الله عليه وسلم ليس فيه قيدٌ ولا شرط، ولا يُفهم ذلك لا من مَنطوقه، ولا من مَفهومه، ولا من إشارته.

وجليٌ أنّ النُّصوص:

- تُحملَ على عُمومها إلى ورود مُخصّص
- وعلى إطلاقها حتّى يأتي ما يُقيّدها.
- ولم يأت هنا مُخصّصٌ ولا مُقيّد لا في حديثٍ ولا أثر" (المسح على الجوربين: ٧٣).

ولقد جاءت الآثار لتؤكّد عدم اشتراط تلك الشُّروط

فقد جاء عن الإمام النّووي رحمه الله قوله: "وحَكى أصحابُنا عن عمر، وعلي رضي الله عنهما جوازَ المسح على الجورب، وإنْ كان "رقيقًا"؛ وحكَوه عن أبي يوسف، ومُحمّد وإسحاق، وداود". (شرح المهذب: ١/٥٠٠).

وهذا يَنقضُ دعوى الإجماع على عدم جواز المسح على الجوربين الرّقيقين! فاحفظ هذا؛ ولا تنسَاه.

وقال سفيان الثوري رحمه الله: "امسَحْ عليها ما تعلّقتْ به رجلكَ؛ وهل كانت خفافُ المهاجرين والأنصار إلا مخرقة مشقّقة مرقّعة؟! (مصنف عبد الرزاق: ٧٥٣).

وفي الختام أقول: إن فيما سبق من الأحاديث والآثار وأقوال أهل العلم ما يكفي للعمل بهذه السُنة النبوية المباركة والرخصة الشرعية التي جاء بها الشرعُ الحنيف تخفيفًا على الناس وتيسيرًا لهم.

والله من وراء القصد، والحمدُ لله ربِّ العالمين.



واحة

من نور كتاب الله

مخافة الساعة

قال تعالى: «وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ» (البقرة: ١٢٣).

من فضائل الصحابة

تقديم أبي بكر وعمر في التفضيل

عن إبراهيم قال: «من فضّل عليًا على أبي بكر وعمر، فقد أزرَى على أصحاب رسول الله المهاجرين والأنصار، ولا أدري هل يَعْطَبُ أمْ لا؟» (فضائل الصحابة الإمام أحمد).

من دلائل النبوة

علاجه للممسوس

عن يعلى بن مرة، قال: رأيت من النبي صلى الله عليه وسلم عجبًا، خرجت معه في سفر فنزلنا منزلاً، فأتته امرأة بصبي لها به لَمَم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اخْرُجْ عَدُوَّ الله، أنا رسول الله»، قال: فبرأ. (أخرجه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (٢٩٨)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢٤/٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١٠٠١/٦).

حِكَم ومواعظ

قال محمد بن واسع: «إني لأغبط رجلاً معه دينه، وما معه من الدنيا شيء، وهو راضٍ» (سِيَر أعلام النبلاء).

من أقوال السلف في التحذير من التكفير

عن سفيان الثوري قال: «مَن صلّى إلى هذه القبلة فهو عندنا مؤمن، والناس عندنا مؤمنون بالإقرار والمواريث والمناكحة، والحدود والذبائح والنُّسُك، ولهم ذنوب وخطايا؛ الله حَسْبُهم؛ إنْ شاء عذَّبَهم، وإن شاء غفر لهم لا ندري ما لهم عند الله» (السُّنَّة للخلال بتصرُّف).



التوحيد

إعداد: علاء خضر

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

التخلق بالشكر

قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم على المنبر: «من لم يشكرِ القليلَ لم يشكرِ الكثيرَ، ومن لم يشكرِ الناسَ، لم يشكرِ اللهَ، والتحدُّثُ بنعمةِ اللهِ شكرٌ، وتركُها كفرٌ، والجماعةُ رحمةٌ، والفُرقةُ عذابٌ» (أخرجه عبدالله بن أحمد في «زوائد المسند» ١٨٤٤٩، وصححه الألباني في صحيح الترغيب: ٩٧٦).

من حكمة الشعر

قال أبو بكر بن أبي داود في اتباع السنة:

تمسك بحبل الله واتبع الهدى ... ولا تكُ بِدْعِيًا لعلك تفلح

ودِنْ بكتاب الله والسنن التي ... أتت عن رسول الله تنجو وتربح

(سير أعلام النبلاء).

من معاني الأحاديث

قال صلى الله عليه وسلم: «نِعْمَ الإِدَام الْخَلُّ»(سنن الترمذي ١٨٤٠، وقال: حسن صحيح).

الإِدَام بالكسر، والأُدُم بالضم: ما يُؤكل مع الخُبز أي شيء كان.

(النهاية لابن الأثير).

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

«أتاني جبريل فقال: يا محمد لولاك لما خلقت الجنة، ولولاك ما خلقت النار»، وفي رواية ابن عساكر: «لولاك ما خلقت الدنيا» رواه الديلمي. قال الصنعاني: من الأحاديث الموضوعة.

(السلسلة الضعيفة للألباني).

من عواقب السياسة الخاطئة

قال المنصور لبعض قوّاده: صدق الذي قال: «أجع كلبك يتبعك، وسمِّنه يأكلك». فقال له أبو العباس الطّوسيّ: «يا أمير المؤمنين، أما تخشى إن أجعته أن يلوِّح له غيرك برغيف فيتبعه ويدعك» (العقد الفريد).

دراسات شرعية

أثر السياق في فهم النص

(١٠٨)

حجاب المرأة المسلمة

(١٨)

إعداد/ د. متولي البراجيلي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

نواصل حديثنا حول أدلة الحجاب -بفضل الله سبحانه وتعالى-، وقد تكلمت عن أدلة الحجاب من القرآن والسنة، فتكلمت عن آيات الحجاب، ثم انتقلت إلى الأحاديث، فذكرت ثلاثة عشر حديثًا، واختلاف أهل العلم في الحكم على الأحاديث، واختلاف اجتهادهم في الاستنباط من الأحاديث.

ووصلت إلى الحديث الرابع عشر: وهو حديث ابن عباس رضي الله عنهما: الذي فيه أن امرأة من خثعم استفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع يوم النحر، والفضل بن عباس رضي الله عنهما رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان الفضل رجلاً وضيئًا، فأخذ الفضل ينظر إليها وأعجبه حسنها، وتنظر إليه.. الحديث.

الاستدلال من الحديث:

أولاً لمن قال بجواز كشف الوجه:

قال ابن حزم يرحمه الله، فلو كان الوجه عورة يلزم ستره لما أقرها عليه السلام على كشفه بحضرة الناس، ولأمرها أن تسبل عليه من فوق، ولو كان وجهها مغطى ما عرف ابن عباس أحسناء هي أم شوهاء، فصَحَّ كل ما قلناه يقينًا، والحمد لله كثيرًا. (المحلى ٢/٢٧٤).

قال الشوكاني: «ومن جملة ما استدلوا به حديث ابن عباس عند البخاري (ثم ذكر حديث الخثعمية والفضل بن عباس رضي الله عنهما)، ثم قال: وقد استنبط منه ابن القطان جواز النظر عند أمن الفتنة؛ حيث لم يأمرها بتغطية وجهها، فلو لم يفهم العباس أن النظر جائز ما سأل (يقصد ما قاله العباس رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم: لمَ لَوَيْتَ عنق ابن عمك)، ولو لم يكن ما فهمه جائزًا ما أقره عليه. ثم قال: وهذا الحديث أيضًا يصلح للاستدلال به على اختصاص آية الحجاب السابقة بزوجات النبي صلى الله عليه وسلم (يقصد قوله تعالى: «وإذا سألتموهن متاعًا فاسألوهن من وراء حجاب»؛ لأن قصة الفضل في حجة الوداع، وآية الحجاب في نكاح زينب في السنة الخامسة من الهجرة (انظر نيل الأوطار ٦/١٣٥).

قلت:

ويرد على استنباط ابن القطان: أن العباس رضي

الله عنه لو لم يفهم أن النظر جائز ما كان سأل النبي صلى الله عليه وسلم، فهذا الاستنباط على الاحتمال، فالعباس رضي الله عنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يُحوِّل وجه الفضل عدة مرات؛ فأراد أن يستفسر عن علة ذلك، خاصة أنه لم يجعل في سؤاله ذكرًا للنظر، ومن المؤكد أنه يعلم الأمر بغض البصر؛ فإن خفي عليه في الحديث لحداثة عهده بالإسلام، فلا يخفى عليه في القرآن.

ثانيًا: من قال بعدم جواز كشف الوجه:

قال القاضي عياض: «لعل الفضل لم ينظر نظرًا ينكر، بل خشي عليه أن يؤول إلى ذلك أو كان قبل نزول الأمر بإدناء الجلابيب» (انظر فتح الباري للحافظ ابن حجر ٤/ ٧٠).

ويجاب على القاضي عياض: بأن الأمر بغض البصر على الإطلاق، وأن ما لم يكن يؤدي إلى ما يُنكر، وهو الوقوع في الفتنة، ولقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن إتباع النظرة النظرة، كما في حديث بريدة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يا علي لا تُتبع النظرة؛ فإن لك الأولى وليست لك الأخرى» (صحيح سنن الترمذي وغيره)، بل أمر صلى الله عليه وسلم بصرف البصر إذا وقع فجأة على امرأة أجنبية، كما في الحديث عن جرير بن عبدالله -رضي الله عنه- قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجأة؟ فقال: «اصرف بصرك» (صحيح مسلم).

أما قوله: أو كان قبل نزول الأمر بإدناء الجلابيب، فهذا مردود عليه بما ثبت أن هذه القصة (الخثعمية) إنما وقعت في حجة الوداع، وآيات الحجاب إنما نزلت قبل ذلك في زواج النبي صلى الله عليه وسلم من زينب في السنة الخامسة من الهجرة.

وقال الشيخ الشنقيطي - يرحمه الله-: (وسأسوق نص كلامه؛ لأنه يحوي غالب ما قيل حول الحديث) بعد أن ساق حديث الخثعمية: فَالْإِخْبَارُ عَنِ الْخَثْعَمِيَّةِ بِأَنَّهَا وَضِيئَةٌ يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّهَا كَانَتْ كَاشِفَةً عَنْ وَجْهِهَا. وَأُجِيبُ عَنْ ذَلِكَ أَيْضًا مِنْ وَجْهَيْنِ:

الْأَوَّلُ: الْجَوَابُ بِأَنَّهُ لَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْ رِوَايَاتِ الْحَدِيثِ التَّصْرِيحُ بِأَنَّهَا كَانَتْ كَاشِفَةً عَنْ وَجْهِهَا، وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَآهَا كَاشِفَةً عَنْهُ، وَأَقَرَّهَا عَلَى ذَلِكَ بَلْ غَايَةُ مَا فِي الْحَدِيثِ أَنَّهَا كَانَتْ وَضِيئَةً، وَفِي بَعْضِ رِوَايَاتِ الْحَدِيثِ: أَنَّهَا حَسْنَاءُ، وَمَعْرِفَةُ كَوْنِهَا وَضِيئَةً أَوْ حَسْنَاءَ لَا يَسْتَلْزِمُ أَنَّهَا كَانَتْ كَاشِفَةً عَنْ وَجْهِهَا، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقَرَّهَا عَلَى ذَلِكَ، بَلْ قَدْ يَنْكَشِفُ عَنْهَا خِمَارُهَا مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ، فَيَرَاهَا بَعْضُ الرِّجَالِ مِنْ غَيْرِ قَصْدِ كَشْفِهَا عَنْ وَجْهِهَا، كَمَا أَوْضَحْنَاهُ فِي رُؤْيَةِ جَابِرٍ سَفْعَاءَ الْخَدَّيْنِ.

وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ يَعْرِفُ حُسْنَهَا قَبْلَ ذَلِكَ الْوَقْتِ لِجَوَازِ أَنْ يَكُونَ قَدْ رَآهَا قَبْلَ ذَلِكَ وَعَرَفَهَا، وَمِمَّا يُوَضِّحُ هَذَا أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الَّذِي رُوِيَ عَنْهُ هَذَا الْحَدِيثُ لَمْ يَكُنْ حَاضِرًا وَقْتَ نَظَرِ أَخِيهِ إِلَى الْمَرْأَةِ وَنَظَرِهَا إِلَيْهِ، لِمَا قَدَّمْنَا مِنْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدَّمَهُ بِاللَّيْلِ مِنْ مُزْدَلِفَةَ إِلَى مِنًى فِي ضَعَفَةِ أَهْلِهِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ إِنَّمَا رَوَى الْحَدِيثَ الْمَذْكُورَ مِنْ طَرِيقِ أَخِيهِ الْفَضْلِ، وَهُوَ لَمْ يَقُلْ لَهُ: إِنَّهَا كَانَتْ كَاشِفَةً عَنْ وَجْهِهَا، وَاطِّلَاعُ الْفَضْلِ عَلَى أَنَّهَا وَضِيئَةٌ حَسْنَاءُ لَا يَسْتَلْزِمُ السُّفُورَ قَصْدًا لِاحْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ رَأَى وَجْهَهَا، وَعَرَفَ حُسْنَهُ مِنْ أَجْلِ انْكِشَافِ خِمَارِهَا مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ مِنْهَا، وَاحْتِمَالُ أَنَّهُ رَآهَا قَبْلَ ذَلِكَ وَعَرَفَ حُسْنَهَا.

فَإِنْ قِيلَ: قَوْلُهُ: إِنَّهَا وَضِيئَةٌ، وَتَرْتِيبُهُ عَلَى ذَلِكَ بِالْفَاءِ قَوْلَهُ: فَطَفِقَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا، وَقَوْلَهُ: وَأَعْجَبَهُ حُسْنُهَا، فِيهِ الدَّلَالَةُ الظَّاهِرَةُ عَلَى أَنَّهُ كَانَ يَرَى وَجْهَهَا، وَيَنْظُرُ إِلَيْهِ لِإِعْجَابِهِ بِحُسْنِهِ.

فَالْجَوَابُ: أَنَّ تِلْكَ الْقَرَائِنَ لَا تَسْتَلْزِمُ اسْتِلْزَامًا، لَا يَنْفَكُّ أَنَّهَا كَانَتْ كَاشِفَةً، وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَآهَا كَذَلِكَ، وَأَقَرَّهَا؛ لِمَا ذَكَرْنَا مِنْ أَنْوَاعِ الِاحْتِمَالِ، مَعَ أَنَّ جَمَالَ الْمَرْأَةِ قَدْ يُعْرَفُ وَيُنْظَرُ إِلَيْهَا لِجَمَالِهَا وَهِيَ مُخْتَمِرَةٌ، وَذَلِكَ لِحُسْنِ قَدِّهَا وَقَوَامِهَا، وَقَدْ تُعْرَفُ وَضَاءَتُهَا وَحُسْنُهَا مِنْ رُؤْيَةِ بَنَانِهَا فَقَطْ، كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ. وَلِذَلِكَ فَسَّرَ ابْنُ مَسْعُودٍ: «وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا»، بِالْمُلَاءَةِ فَوْقَ الثِّيَابِ، كَمَا تَقَدَّمَ.

الْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّ الْمَرْأَةَ مُحْرِمَةٌ وَإِحْرَامُ الْمَرْأَةِ فِي وَجْهِهَا وَكَفَّيْهَا، فَعَلَيْهَا كَشْفُ وَجْهِهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ رِجَالٌ أَجَانِبُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَعَلَيْهَا سَتْرُهُ مِنَ الرِّجَالِ فِي الْإِحْرَامِ، كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ عَنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَغَيْرِهِنَّ، وَلَمْ يَقُلْ

أَحَدٌ إِنَّ هَذِهِ الْمَرْأَةَ الْخَثْعَمِيَّةَ نَظَرَ إِلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرُ الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَالْفَضْلُ مَنَعَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهَا، وَبِذَلِكَ يُعْلَمُ أَنَّهَا مُحْرِمَةٌ لَمْ يَنْظُرْ إِلَيْهَا أَحَدٌ فَكَشْفُهَا عَنْ وَجْهِهَا إِذًا لِإِحْرَامِهَا لَا لِجَوَازِ السُّفُورِ.

فَإِنْ قِيلَ: كَوْنُهَا مَعَ الْحُجَّاجِ مَظِنَّةُ أَنْ يَنْظُرَ الرِّجَالُ وَجْهَهَا إِنْ كَانَتْ سَافِرَةً؛ لِأَنَّ الْغَالِبَ أَنَّ الْمَرْأَةَ السَّافِرَةَ وَسَطَ الْحَجِيجِ، لَا تَخْلُو مِمَّنْ يَنْظُرُ إِلَى وَجْهِهَا مِنَ الرِّجَالِ.

فَالْجَوَابُ: أَنَّ الْغَالِبَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَرَعُ وَعَدَمُ النَّظَرِ إِلَى النِّسَاءِ، فَلَا مَانِعَ عَقْلًا وَلَا شَرْعًا وَلَا عَادَةً، مِنْ كَوْنِهَا لَمْ يَنْظُرْ إِلَيْهَا أَحَدٌ مِنْهُمْ، وَلَوْ نَظَرَ إِلَيْهَا لَحُكِيَ كَمَا حُكِيَ نَظَرُ الْفَضْلِ إِلَيْهَا، وَيُفْهَمُ مِنْ صَرْفِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَصَرَ الْفَضْلِ عَنْهَا، أَنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى تَرْكِ الْأَجَانِبِ يَنْظُرُونَ إِلَى الشَّابَّةِ، وَهِيَ سَافِرَةٌ كَمَا تَرَى، وَقَدْ دَلَّتِ الْأَدِلَّةُ الْمُتَقَدِّمَةُ عَلَى أَنَّهَا يَلْزَمُهَا حَجْبُ جَمِيعِ بَدَنِهَا عَنْهُمْ.

وَبِالْجُمْلَةِ، فَإِنَّ الْمُنْصِفَ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَبْعُدُ كُلَّ الْبُعْدِ أَنْ يَأْذَنَ الشَّارِعُ لِلنِّسَاءِ فِي الْكَشْفِ عَنِ الْوَجْهِ أَمَامَ الرِّجَالِ الْأَجَانِبِ، مَعَ أَنَّ الْوَجْهَ هُوَ أَصْلُ الْجَمَالِ، وَالنَّظَرُ إِلَيْهِ مِنَ الشَّابَّةِ الْجَمِيلَةِ هُوَ أَعْظَمُ مُثِيرٍ لِلْغَرِيزَةِ الْبَشَرِيَّةِ وَدَاعٍ إِلَى الْفِتْنَةِ، وَالْوُقُوعِ فِيمَا لَا يَنْبَغِي». (انظر أضواء البيان ٦/٢٥٤-٢٥٦).

قلت: وكلام الشيخ الشنقيطي - يرحمه الله - يَردُ عليه إيرادات، كالتالي:

١- قوله: «بأنه ليس في روايات الحديث أنها كانت كاشفة عن وجهها. وغاية ما في الحديث أنها كانت وضيئة حسناء وهذا لا يستلزم منه أن تكون كاشفة عن وجهها».

والحقيقة أن وصف المرأة بأنها وضيئة أو حسناء لايكون إلا من خلال وجهها، فإن قيل: إن فلانة حسناء او وضيئة، فيفهم منه أن هذا وصف لوجهها، ويستبعد أن يكون هذا وصف لقوامها، وثم كيف يرى قوامها وهي محجبة بملابس المفترض أنها لا تصف شيئًا من قوامها، فكيف عرف حسنها ثم يكرر النظر إلى ماذا عدة مرات؟!

والعلماء الذين قالوا بوجوب تغطية وجه المرأة من استدلالاتهم، أن جمال المرأة في وجهها، فعندما توصف المرأة بالجمال فهذا يعني - بداهة - جمال الوجه، وفي الحديث يقولون أن وصف المرأة بالجمال والوضاءة والحسن، لا يشترط منه جمال وجهها.

وفي إحدى روايات الحديث: عن الفضل بن عباس قال: كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم وأعرابي معه بنت له حسناء فجعل الأعرابي يعرضها لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يتزوجها... (قال الحافظ في الفتح: رواه أبو يعلى بإسناد قوي ٤/٦٨، إلا أن الألباني ذكر ضعفه، وأن فيه خمس علل، انظرها في الرد المفحم ١/٥٨-٦١، وبالتالي فلن نعول عليه).

٢- قوله: «قد ينكشف عنها خمارها من غير قصد فيراها بعض الرجال».. قلت: لو انكشف خمارها فجأة وسارعت بالتغطية، فهل في هذا الوقت الذي في الغالب يكون لمحة سريعة يعرف حسنها ووضائتها ويكرر الفضل النظر إليها، وإن كان من الممكن أن يكرر لها النظر بعد تغطية وجهها إذا رأى جمالها وعاينه وعرفه، وهذا أرى أنه لا يتأتى من مجرد نظرة سريعة لامرأة كشف نقابها عن وجهها فسارعت بإعادته.

٣- قوله: «ويحتمل أن يكون يعرف حسنها قبل ذلك الوقت؛ لجواز أن يكون قد رآها قبل ذلك وعرفه».

قلت الشيخ قال: ويحتمل، فبنى استدلاله هنا على الاحتمال، وكون الفضل يعرفها قبل ذلك وهي منتقبة، هذا يحتاج إلى دليل وإن كان يعرفها قبل ذلك كما قال فكيف تعرف عليها عندما أتت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تغطي وجهها؟ وإذا كان يعرفها ويعرف جمالها وتأثر به، فلماذا لم يسع للزواج بها؟!

٤- قوله: «ليس في روايات الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم رآها كاشفة عن وجهها..».

قلت: لماذا إذن كان النبي صلى الله عليه وسلم يصرف وجه وبصر الفضل، إن كانت المرأة تغطي وجهها بنقاب أو بإسدال خمارها على وجهها، فاحتمال عدم رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لوجهها، وهي التي تسأله وتوجه الكلام له، وأن يراها الفضل فقط، فهذا أراه بعيدًا.

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

الأحداث الهامة في تاريخ الأمة

سقوط غرناطة

إعداد عبد الرزاق السيد عيد

الحمد لله الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير، والصلاة والسلام على البشير النذير النبي الأمي محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

إخوتي في الله قراء مجلة التوحيد الكرام، اليوم أقف بكم ومعكم على ربوة عالية نطل منها على قصر الحمراء في غرناطة، والذي هو من بدائع العمران ومن آثار الحضارة الإسلامية في دولة الأندلس، أقصد التي كان اسمها كذلك، قبل أن تصير إسبانيا الحالية.

نقف هناك قرب هذا القصر ويقف معنا محمد ابن الأحمر الصغير آخر ملوك المسلمين في غرناطة وفي الأندلس عمومًا، وبعد أن انتهى هذا الملك الصغير من تسليم قصره وجميع ممتلكاته ومُلكه إلى الملك فرديناند الخامس والملكة إيزابيلا الملكين الكاثوليكيين اللذين كان يحكمان إسبانيا، وبعد أن سلمها الملك أبو عبد الله محمد بن الأحمر وخرج يجر أذيال الهزيمة والذل والصغار، خراج واقفًا على تلك الربوة يبكي كالصغار وهو ينظر إلى قصره وملكه الذي أضاعه في لحظه، ويصف لنا الأستاذ محمد عبد الله عنان في كتابه «دولة الإسلام في الأندلس»، فيقول:

«وفي نكسة كبيرة وفي ظل الذل والصغار يخرج أبو عبد الله محمد بن الأحمر الصغير آخر ملوك المسلمين في غرناطة من القصر الملكي، ويسير بعيدًا في اتجاه بلده أندروس حتى وصل إلى ربوة عالية تطل على قصر الحمراء يتطلع منها إليه، وإلى ذلك المسجد الذي ولّى ويحزن بأسًى قد تبدّى عليه لم يستطع أن يتمالك نفسه، انطلق يبكي حتى بللت دموعه لحيته، حتى قالت له أمه وكان اسمها (عائشة الحرة): «أجل! فلتبك كالنساء مُلكًا لم تستطع أن تدافع عنه كالرجال».

ولقد لخصت لنا، وبسقوط غرناطة غربت شمس الحضارة الإسلامية عن بلاد الأندلس وعن الجنوب الغربي لقارة أوروبا، وكان ذلك في اليوم الثاني من شهر ربيع الأول سنة ٨٩٧هـ الموافق الثالث من يناير سنة ١٤٩٢م، نعم بسقوط غرناطة أفل نجم الحضارة الإسلامية عن الأندلس بعد عطاء دام ثمانية قرون منذ الفتح الإسلامي إلى سقوط الدولة، ثمانية قرون من النور والعلم والأدب والخلق النابع من عقيدة الإسلام والذي انتفع به العالم بأسره حتى يومنا هذا، ولم تنتفع الأندلس وحدها بل انتفعت أوروبا بكاملها وانتفع العالم بأسره حتى يومنا هذا وإلى ما شاء الله وحتى نوفي هذا الموضوع بعض حقّه لا بد لنا من إطلالة سريعة على حال أوروبا قبل الفتح الإسلامي للأندلس وحال إسبانيا ثم أثناء الفتح الإسلامي، وسينتظم حديثنا في هذا الموضوع المحاور التالية بعون الله تعالى:

أولاً: نظرة سريعة على حال أوروبا قبل الفتح الإسلامي للأندلس.

ثانيًا: مقارنة بين حال إسبانيا قبل الفتح الإسلامي وبعده.

ثالثًا: عرض موجز للعهود التي مرت بها الأندلس.

رابعًا: سقوط غرناطة وأسبابه.

خامسًا: الدروس المستفادة.

ونبدأ مستعينين بالله العظيم وعليه نتوكل:

أولاً: نظرة سريعة على أحوال أوروبا قبل الفتح الإسلامي للأندلس:

بينما أشرق نور الإسلام في الأندلس؛ كانت أوروبا

تغطُّ في ظلام عميق، وقد أظلها ليلٌ طويل من الجهل والهمجية والفوضى، يشهد بذلك التاريخ والمؤرخون من الأوروبيين أنفسهم ومن ملوكهم، ويشهد بذلك القاصي والداني، وسنشير إلى ذلك بإيجاز:

١- يقول المؤرخ الفرنسي جُوستاف لوبون في كتابه «حضارة العرب»: «إذا رجعنا إلى القرن التاسع، والقرن العاشر من الميلاد، حين كانت الحضارة الإسلامية في إسبانيا ساطعة جدًا، رأينا أن مراكز الثقافة في الغرب كانت أبراجًا يسكنها سنيورات متوحشون يفخرون بأنهم لا يقرؤون، وأن أكثر رجال النصرانية معرفة كانوا من الرهبان المساكين الجاهلين، والذين يقضون أوقاتهم في أديرتهم ليكشطوا كتب الأقدمين النفيسة بخشوع، وذاقت همجية أوروبا البالغة زمنًا طويلاً من غير أن تشعر بها ولم يَبْدُ في أوروبا بعض الميل إلى العلم إلا في القرن الحادي عشر، والثاني عشر من الميلاد، وذلك حين ظهر أناس في أوروبا رأوا أن يدفعوا أكفان الجهل الثقيل عنهم، فولوا وجوههم شطر العرب (المسلمين) في الأندلس الذين كانوا أئمة وحدهم». اهـ.

فها هو المؤرخ الفرنسي الشهير يعترف أن المسلمين في الأندلس كانوا القدوة في الحضارة والعلم، ومن أراد من أوروبا أن يرفع عن نفسه وعن شعبه أكفان الجهل فعليه التوجه إلى منارة العلم في قرطبة، وهذا فعلاً ما فعله ملوك أوروبا وشبابها، وإليك البرهان:

رسالة من ملك إنجلترا وما حولها جورج الثاني إلى خليفة المسلمين بالأندلس هشام الثالث، وهذا نصها:

«من جورج الثاني ملك إنجلترا والسويد والنرويج، إلى الخليفة ملك المسلمين في مملكة الأندلس صاحب العظمة هشام الثالث الجليل المقام، وبعد التعظيم والتوقير فقد سمعنا عن الرقي العظيم الذي تتمتع بفيضه الصافي في معاهد العلم والصناعات في بلادكم العامرة، فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج من هذه الفضائل لتكون بداية حسنة في اقتفاء أثركم لنشر أنوار العلم في أوروبا التي يسودها الجهل من أربعة أركان، ولقد وضعنا ابنة شقيقنا الأميرة دوبانت على رأس بعثة بنات أشراف الإنجليز تتشرف بلثم أهداب العرش والتماس العطف لتكون مع زميلاتها موضع عناية عظمتكم، ومن اللواتي سيتوافرن على تعليمهن، ولقد أرفقت مع الأميرة الصغيرة هدية متواضعة لمقامكم الجليل أرجو التكرم بقبولها مع التعظيم والحب الخالص، من خادمكم المطيع جورج ملك إنجلترا».

وكان جواب الخليفة على النحو التالي:

«بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه سيد المرسلين، وبعدُ: إلى ملك إنجلترا، واسكندنافيا، وأبكوسيا الأجل: اطلعت على التماسكم فوافقت على طلبكم بعد استشارة من يعنيهم الأمر من أرباب الشأن، وعليه نُعلمكم أنه سوف يُنفق على هذه البعثة من بيت مال المسلمين دلالة على مودتنا لشخصكم الملكي، أما هديتكم فقد تلقيتها بسرور زائد، وفي المقابل أبعث إليكم بغالي الطنافس الأندلسية وهي من صنع أبنائنا هدية لحضرتكم، وفيها المغزى الكافي للتدليل على التفاتنا ومحبتنا والسلام». (راجع ابن عبد البر في الاستذكار ج١، موسوعة المعارف البريطانية)..

خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الأندلس هشام الثالث:

وفي هذين الخطابين المتبادلين بين ملك إنجلترا وما حولها، وبين خليفة المسلمين في الأندلس ما يشير إلى عز ومجد الأندلس وريادة المسلمين آنذاك للعالم، وإنما أردنا أن نَسْبُرَ غورها ونقف معها وقفة متأمل، فهذا يحتاج إلى دراسة مستقلة، لكن هذا باختصار ما كان عليه المسلمون زمن العزة، وينقل لنا الدكتور محمد إسماعيل المقدم صورة تؤكد ما سبق من زاوية أخرى، حيث يقول: «كان الشباب الأوروبي من ألمانيا، وبريطانيا، وفرنسا، وإيطاليا، وكل هذه البلاد في فترات مجد المسلمين يأتون إلى الأندلس، لينقلوا العلم على أيدي علماء المسلمين، وكانت لغة العلم هي اللغة العربية، فكان لزامًا على كل طالب يريد أن يتلقى العلم الحديث وأحدث ما وصل إليه العلم كان لزامًا عليه أن يتعلم اللغة العربية، فكان الشاب الغربي إذا رجع إلى بلاده يفتخر أمام أقرانه بأنه درس في بلاد المسلمين، ويعتبر هذا من مظاهر المفاخرة العظيمة، فكان يخلط كلامه أحيانًا بألفاظ عربية، ثم يعود يتكلم بلغته القومية». مختصر من كتاب علو الهمة.

ثانيًا: مقارنة بين إسبانيا قبل الفتح وبعده:

يقول الدكتور عبد الرحمن الحجي في كتابه «التاريخ الأندلسي»، ط دار القلم سنة ١٩٧٦م: «كانت إسبانيا قبل الفتح الإسلامي تشكو الاضطراب والفساد الاجتماعي، والتأخر الاقتصادي وعدم الاستقرار نتيجة السياسة ونظام الحكم، ثم يوضح لنا شيئين من هذا الفساد، فيقول: استبد القوط بالحكم قبل الفتح الإسلامي ولسوء سياستهم ساءت حالة إسبانيا، واضطربت حياة سكانها، فالفوضى منتشرة، وكثير من الناس يعيشون في شقاء لسوء الأحوال المعيشية، ولسياسة الاستغلال من جانب الحكام... فكان الشعب مُسْتَغَلاً لحساب الطبقة الحاكمة والمترفة وأصحاب المصالح، يضاف إلى ذلك الصراع الذي نشأ بين الطبقات والحاكمين، وفيما بين الحاكمين أنفسهم، وكان الشعب الإسباني مقسمًا إلى طبقات، ومع وجود الفوارق الطبقية فلا يحظى بالعيش إلا طبقة معينة حصلت على امتيازات، والأسرة المالكة التي بيدها كل شيء دون سواد الشعب الذي يلاقي الإهمال والظلم وتفرض عليه الضرائب والتكاليف، ولذلك عندما جاء الفتح الإسلامي سارع إليه أهل إسبانيا يعتنقونه عقيدة ويأخذون بشريعته أخلاقًا وسلوكًا، ودخلوا في الإسلام طواعية دون إكراه امتزجت عناصر الشعب كلها في ظل العقيدة والشريعة متعايشة متعاونة متحابة، فاستمر الإسلام في المناطق التي وصل إليها وحافظ أهل البلاد عليه لما وجدوا فيه من عزة وكرامة وعدل ورحمة، بل وحملوه إلى المناطق الأخرى سلوكًا ودعوة، وفدوه بأموالهم وأنفسهم». اهـ مع تصرف يسير.

ثالثًا: مراحل الحكم التي مرت على الأندلس

بدأت هذه المراحل منذ الفتح في عام ٩٢هـ حتى سقوط غرناطة سنة ٨٩٧هـ الموافق ١٤٩٢م، فهذه ثمانية قرون بسط فيها الإسلام سلطانه على الأندلس، فصارت منارة للحضارة الشاملة في كل مناحي الحياة وقِبْلة يَفِد إليها أبناء أوروبا ينهلون من علم المسلمين في اللغة والآداب والطب والهندسة والصيدلة والعمارة، وفي كل مناحي الحياة.

والحديث عن حضارة الإسلام في الأندلس يحتاج إلى مجال أوفر من هذه الإشارة العابرة.

أما الدولة الإسلامية في الأندلس فمرت بسبع مراحل، أو ست عند بعض المؤرخين؛ جعلوا مرحلة الفتح والولاة مرحلة واحدة، ثم تلت ذلك مرحلة الإمارة التي بدأت بعبد الرحمن الداخل التي اشتهر بصقر قريش، أو ربما كانت هذه المرحلة من أزهى مراحل الحكم في الأندلس، وكانت مرحلة الولاة تابعة للدولة الأموية بالشام، وبسقوط الدولة الأموية، ومع ظهور الدولة العباسية، وفرار عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس جعلها إمارة مستقلة منفصلة عن الشام، ثم المرحلة التي أطلق عليها عهد الخلافة، ثم عهد الطوائف، ثم عهد المرابطين والموحدين، ثم المرحلة الأخيرة مملكة غرناطة التي استمرت حوالي قرنين ونصف قرن من الزمان من (٦٢٠: ٨٩٧هـ - ١٢٢٣: ١٤٩٢م)، وبسقوط غرناطة ذهب سلطان المسلمين عن الأندلس.

وهذا ما سنتحدث عنه بعون الله في لقائنا القادم مع استخلاص الدروس والعبر.

ومن المفيد هنا أن نشير إلى أن عصور الأندلس أو عهودها أو دولها تفاوتت قوة وضعفًا بحسب قربها من دين الله أو بعدها عنه، وقد رأينا كيف كانت في أزهى عصورها تملك القيادة والسيادة والريادة، وكيف كان يخاطب ملوك أوروبا ملك الأندلس وكيف كان شباب أوروبا يتفاخر بعلمه باللغة العربية على أقرانهم؛ لأنها لغة الحضارة والعلم والثقافة في ذلك الزمن الذي خيَّم فيه الجهل والتخلف على أركان أوروبا الأربعة بحسب تعبير الملك جورج.

ولا يفوتنا قبل ختام هذا المقال أن نؤكد على مصدر قوة المسلمين، وكذا مصدر ضعفهم باختصار شديد، قال الله عز وجل: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا» (آل عمران:١٠٣)، فأمر الله سبحانه بأهم أسباب القوة ألا وهو الاعتصام بحبل الله، ونهى في مقابل ذلك عن أخطر أسباب الضعف بقوله: «ولا تفرقوا»؛ فالفرقة ضعف وفشل؛ «وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ» (الأنفال:٤٦)، والاعتصام بالله هداية ووقاية؛ هداية إلى الصراط المستقيم، ووقاية من القتال والفُرقة، قال الله تعالى: «وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ» (آل عمران:١٠١).

هدانا الله وإياكم لصراطه المستقيم، ووقانا شر المغضوب عليهم والضالين، وإلى لقاء أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه.

من أخطاء بعض المعالجين بالقرآن

إعداد/ هارون عبد العاطي عطية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد جاءت أدلة تفيد بإمكانية تلبس الجني بالإنسي، ومن ذلك:

الدليل القرآني: قوله تعالى: «ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ» (البقرة:٢٧٥).

والذي نراه أن ما عليه جمهور العلماء من أن التشبيه على الحقيقة هو الحق؛ لأن الشيطان قد يمسّ الإنسانَ فيصيبه بالجنون، ولأنه لا يسوغ لنا أن نؤول القرآن بغير ظاهره بسبب اتجاه لا دليل عليه. (التفسير الوسيط للقرآن الكريم لطنطاوي ١/٦٣٤).

الأدلة من السنة:

عَنْ عِمْرَانَ أَبِي بَكْرٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ أَتَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللهَ لِي. قَالَ: إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ. فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللهَ لِي أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا. (رواه البخاري ٥٣٢٨).

وعن ابن عباس قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم بمكة، فجاءت امرأة من الأنصار، فقالت: يا رسول الله، إن هذا الخبيث غلبني، فقال لها: إن تصبري على ما أنت عليه تجيئين يوم القيامة ليس عليك ذنب ولا حساب، قالت: والذي بعثك بالحق لأصبرنَّ حتى ألقى الله، قالت: إني أخاف الخبيث أن يجردني. فدعا لها، فكانت إذا أحست أن يأتيها تأتي أستار الكعبة، فيعلق بها، فتقول له: اخسأ، فيذهب عنها. (مسند البزار، المطبوع باسم البحر الزخار: ١١/٢٨٠ (٥٠٧٣)، وفيه كلام).

عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ قَالَ: لَمَّا اسْتَعْمَلَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الطَّائِفِ جَعَلَ يَعْرِضُ لِي شَيْءٌ فِي صَلَاتِي حَتَّى مَا أَدْرِي مَا أُصَلِّي، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ رَحَلْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: ابْنُ أَبِي الْعَاصِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: مَا جَاءَ بِكَ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، عَرَضَ لِي شَيْءٌ فِي صَلَوَاتِي حَتَّى مَا أَدْرِي مَا أُصَلِّي قَالَ: ذَاكَ الشَّيْطَانُ ادْنُهْ فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَجَلَسْتُ عَلَى صُدُورِ قَدَمَيَّ، قَالَ: فَضَرَبَ صَدْرِي بِيَدِهِ، وَتَفَلَ فِي فَمِي وَقَالَ: اخْرُجْ عَدُوَّ اللهِ فَفَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: الْحَقْ بِعَمَلِكَ. فَقَالَ عُثْمَانُ: لَعَمْرِي مَا أَحْسَبُهُ خَالَطَنِي بَعْدُ. (رواه ابن ماجه: ٣٥٤٨).

من المخالفات الشرعية للمعالجين بالقرآن الكريم:

لقد دخلت البدع والمخالفات الشرعية على بعض المعالجين بالقرآن الكريم، وقد حذَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم من البدع، والأحاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ». (رواه البخاري ومسلم).

وقوله: في أمرنا: أي في ديننا. وقوله: فهو ردٌّ: أي مردود عليه كائنًا من كان.

قال الإمام أحمد رحمه الله: «مَن سنَّ في الإسلام سنة يدَّعي أنها حسنة فقد زعم أن محمدًا صلى الله عليه وسلم لم يكمل الرسالة، اقرؤوا إن شئتم قول الله تعالى: «ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا» (المائدة:٣)».

قال سفيان الثوري رحمه الله: «البدعة أحب إلى الشيطان من المعصية؛ لأن المعصية يُتاب منها، والبدعة لا يتاب منها».

خطوات الشيطان في الغواية، كما ذكر ابن القيم في كتابه (إغاثة اللهفان):

أولها: الشرك والكفر. وثانيها: البدعة. وثالثها: الكبيرة. فالبدعة قبل الكبيرة؛ لأن الكبيرة معصية ومن تاب منها قبل الله توبته بشروطها، والإقلاع عن الذنب، والندم عليه، فالندم توبة، وعقد العزم الأكيد على عدم العودة إليه إذا كان الذنب في حق الله، أما إذا كان الذنب في حق العباد فلا بد لقبول التوبة من الأداء (أداء الحق)، أو الإبراء (المسامحة من صاحب الحق).

إن سبب دخول البدع والمخالفات الشرعية على بعض المعالجين بالقرآن أمران:
الأول: جهل المعالج بأمور الدين.
الثاني: التحدث مع الجني وتصديقه فيما يخبر به.

الفتاوى التي تحرم البدع التي ابتدعها بعض المعالجين بالقرآن الكريم:

أولاً: فتوى اللجنة الدائمة لهيئة كبار العلماء في مصر رقم (٦١/٢٧/٧٨٠٤):
«سُئلت اللجنة الدائمة لهيئة كبار العلماء عن حكم الدين في الذين يقرؤون على الناس بآيات الله الكريمة وبعضهم يحضرون ويشهدون الجن ويتعهدونهم بعدم التعرض للشخص الذي يقرأ عليه هؤلاء؟
فأجابت اللجنة- حفظها الله-: رقية المسلم أخاه بقراءة القرآن عليه مشروعة، وقد أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرقية ما لم تكن شركًا، أما من يستخدم الجن ويحضرهم ويشهدهم ويأخذ عليهم العهد ألا يمسوا هذا الشخص الذي قرئ عليه القرآن ولا يتعرضوا له بسوء فلا يجوز. وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه ومسلم». (مجلة البحوث الإسلامية، الفتوى رقم ٦١/٢٧/٧٨٠٤).

ثانيًا: فتوى اللجنة الدائمة بالمملكة العربية السعودية رقم (٦٥٠٥): «سئلت اللجنة الدائمة للفتوى بالمملكة العربية السعودية عن حكم الاستعانة بالجن؟
فأجابت اللجنة بأنه لا يجوز الاستعانة بالجن في معرفة نوع الإصابة، ونوع علاجها؛ لأن الاستعانة بالجن شرك لقوله تعالى: «وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا» (الجن:٦).
كما سُئلت اللجنة عن تصديق الجن المتلبس بالمريض والبناء على دعواه؟
فأجابت اللجنة بأن هذا لا يجوز. الفتوى رقم (٦٥٠٥). انتهى.
هذه الفتوى تنهى عن الاستعانة بالجن في معرفة نوع الإصابة ونوع علاجها وعن تصديق الجن المتلبس بالمريض والبناء على دعواه.

بدعة التحدث مع الجن:

من البدع التي عمت بها البلوى التحدث مع الجني وهو كذوب:
١- لم يثبت إطلاقًا أن النبي صلى الله عليه وسلم تحدث في حوار مع جني أو أقر صحابيًا على ذلك بسنة قولية أو عملية أو تقريرية، إلا ما كان من قوله صلى الله عليه وسلم: «اخرُجْ عدوَ الله؛ أنا رسول الله».
٢- في حديث أبي هريرة عن الجن الذي جاء يسرق من الصدقة، قال صلى الله عليه وسلم: «صدقك وهو كذوب». لم يسأله أبو هريرة عن أي شيء.
٣- ورد في كتاب الآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح الحنبلي فصل في المعالجة بالرقى والعزائم: «قال أحمد بن حنبل رحمه الله في الرجل يزعم أنه يعالج المجنون من الصرع بالرقى والعزائم، ويزعم أنه يخاطب الجن ويكلمهم ومنهم من يخدمه، قال: ما أحب لأحد أن يفعله، تركه أحب إليّ». (الآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح الحنبلي ١/١٩٨).
٤- قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله على موقعه بالإنترنت: «ولكنني من جانب آخر أنكر أشد الإنكار على الذين يستغلون هذه العقيدة، ويتخذون استحضار الجن ومخاطبتهم مهنة لمعالجة المجانين والمصابين بالصرع». انتهى.
٥- ذكر الشيخ وحيد عبد السلام بالي في كتابه «وقاية الإنسان من الجن والشيطان» لا فائدة من الحوار مع الجني، بل إن الحوار يتعب المريض ويمكن للجن في الجسم. انتهى. (وقاية الإنسان من الجن والشيطان لوحيد عبد السلام بالي ص١٤).
٦- ورد في كتاب الطرق الحسان في علاج أمراض الجان للشيخ خليل بن إبراهيم أمين «أبي المنذر»: «من أخطاء المعالجين بالقرآن نشر محادثات طويلة بين الجن والشيخ فلان... ثم قال: ولست أدري ما فائدة نشر تلك الحوارات إلا الشهرة للشيخ ومقدرته على الحوار مع الجن.. ثم قال: وإن الحوار كله على لسان مريض ولا نرى جنيًا ولا غيره، وقد يكون المريض مريضًا نفسيًا». انتهى. (الطرق الحسان في علاج أمراض الجان للخليل بن إبراهيم أمين «أبي المنذر» (ص١١٧).

وللحديث بقية إن شاء الله.

إعلام العباد
بمن لا تأكله الأرض من الأجساد

إعداد المستشار/ أحمد السيد علي
نائب رئيس هيئة قضايا الدولة
ماجستير في الشريعة والقانون

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإن الله عز وجل كتب الموت على جميع البشر، ولم يكتب لأحد منهم الخلد في الدنيا، فقال تعالى: « وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ » (الأنبياء: ٣٤)، وامتن عليهم سبحانه وتعالى بدفنهم، فلم يجعلهم ملقون للسباع والطيور، وجعل الدفن مكرمة لبني آدم دون سائر الحيوانات، فقال تعالى: «ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ» (عبس: ٢١)، وقال: «أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا » (المرسلات: ٢٥ - ٢٦)، وقد أرشد الله تعالى قابيل إلى دفن أخيه هابيل: «فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ » (المائدة: ٣١) فكانت سُنة في بني آدم.

وكتب عليهم في قبورهم الفناء، والتحلل، فأمر الأرض أن تأكل أجسادهم إلا قطعة صغيرة من العظام تسمى عجب الذنب، منه خلق ابن آدم، وفيه يركب عند بعثه يوم القيامة، فعن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كلُّ ابن آدمَ يأكُله الترابُ إلا عَجْبُ الذنبِ منه خُلقَ وفيه يُركَّبُ» (رواه مسلم) واستثنى منهم الأنبياء فحرم على الأرض أن تأكل أجسادهم، معجزة لهم، وبعض أوليائه كرامة لهم.

فخالف في هذا البعض، وأنكروا حدوثه، وأثاروا الشبهات حوله، فكان هذا البحث للرد عليهم، وتفنيد شبهاتهم، وبيان المسألة بالدليل النقلي، والعقلي.

أولاً: الدليل على فناء أجساد بنى آدم وتحللها في قبورهم:

تواترت الأدلة من القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة على فناء وتحلل أجساد البشر في قبورهم بعد مماتهم، وذلك على النحو التالي:

الأدلة من القرآن الكريم:

أثبت القرآن الكريم هذه الحقيقة، في أكثر من موضع منه، فلم ينكر الله سبحانه وتعالى على الكفار إقرارهم بفناء أجسادهم وتحللها في قبورهم، وإنما أنكر عليهم تعجبهم من قدرته على إرجاعها بعد فنائها، فتارة يقرون بتحلل أجسادهم إلى تراب، وتارة أخرى إلى تراب وعظام.

١- قال تعالى: «وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ » (الرعد: ٥).

٢- وقال: «وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا» (الإسراء: ٤٩).

٣- وقال: «وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ» (النمل: ٦٧).

والأمر يعم جميع المخلوقات، وليس البشر فقط، ويتبين هذا من تحلل حمار الرجل الذي أماته الله مائة عام، فقال تعالى: «أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ» (البقرة: ٢٥٩).

الأدلة من السنة المطهرة:

بين النبي صلى الله عليه وسلم أن كل بني آدم يأكله التراب:

١- فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كلُّ ابن آدمَ يأكُلُه الترابُ إلا عَجْبُ الذنب منه خُلقَ وفيه يُركَّبُ» (رواه مسلم) وفي رواية عنه - أيضا -: «يَبْلَى كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْإِنْسَانِ إِلَّا عَجْبَ ذَنَبِهِ فِيهِ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ» (رواه البخاري ومسلم).

ثانيا: مراحل تحلل أجساد بني آدم في قبورهم

والجسد البشري يمر بعدة مراحل من التحلل في القبر، حسبما أوضح العلماء المتخصصون ذلك، ومن هذا ما جاء بمقالة " متى يبدأ جسم الميت بالتحلل "، بموقع " موضوع " على الشبكة العنكبوتية: «الموت هو نهاية جميع الكائنات الحية الموجودة في الدنيا، وهو خروج الروح من الجسم، والانتقال إلى مرحلة الحياة الأخرى، والتي لا يعلم ما فيها من حياة ومراحل إلا الله سبحانه وتعالى، وفيها يُحدد مصير الإنسان سواء في الجنة أو النار بناءً على عمله في الحياة الدنيا، وتكون بمثابة ثواب أو عقاب له، وبعد وفاة الإنسان فلا بد من دفنه إكرامًا له، وذلك لأن دفن الميت سنة من الله سبحانه وتعالى، ويمر الميت في القبر بمجموعة مراحل تتحلل خلالها جثته في فترة وجوده فيه، وذلك نتيجة لخروج الدود من الجسد بمجرد خروج الروح منه، والذي يبدأ بتحليله، وسنعرفكم على مراحل تحلل الجثة في هذا المقال.

متى يبدأ جسم الميت بالتحلل: يبدأ جسم الميت بالتحلل بعد الوفاة مباشرة؛ حيث يبدأ جلد الميت بالتفسخ البسيط، فتظهر رائحة خفيفة لا يشعر بها الإنسان، ولكنها تجذب الحشرات، وخاصة إناث الذباب التي تسرع لتضع بيوضها الصغيرة دون أن يراها الإنسان على جسم الميت، لتنمو بعد ذلك وتتحول إلى يرقات ثم إلى ديدان تحلل الجثة، ويرجع إلى المراجع الطبية لمعرفة تفصيل تلك المرحلة.

المستثنون من تحلل أجسادهم

وبالرغم من عموم الأدلة السابق ذكرها على تحلل أجساد بني آدم، إلا أن هناك أدلة نقلية، وعقلية بينت استثناء طوائف من بني آدم من التحلل، منها ما يتعلق بالمعجزة، وهذه خاصة بالأنبياء، ومنها ما يتعلق بالكرامة، وهذه خاصة ببعض الأولياء، ومنها ما يتعلق ببعض العوامل الأخرى التي تمنع التحلل، ونستعرضها جميعا في النقاط الآتية:

أولا: ما يرجع إلى المعجزة «أجساد الأنبياء»

وردت الأدلة باستثناء الأنبياء من تحلل أجسادهم بعد مماتهم، فقد حرم الله على الأرض أن تأكلها، وليس المقصود الأنبياء فقط، وإنما المقصود الأنبياء والمرسلين لأن كل رسول نبي وليس كل نبي رسول، فإذا أطلق لفظ الأنبياء دخل فيه الرسل لكونهم أنبياء أيضا، وعدد الأنبياء والرسل لا يعلمه إلا الله، لقوله تعالى: «وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَ» (غافر: ٧٨)، والمعروف منهم من ذكروا في القرآن أو صحت بخبره السنَّة، أما ما ورد عن أبي أمامة الباهلي أنه قال: «قلتُ: يا نبيَّ الله فأيُّ الأنبياءِ كان أولَ؟ قال: آدمُ عليه السَّلامُ. قال: قلتُ: يا نبيَّ الله أونبيٌّ كان آدمُ؟ قال: نعم، نبيٌّ مُكلَّمٌ، خلقه الله بيده، ثم نفخ فيه من رُوحه، ثم قال له: يا آدمُ قُبُلًا. قال: قلتُ:

يا رسولَ الله كم وفّى عددُ الأنبياء؟ قال: مائةُ ألف وأربعةٌ وعشرون ألفًا، الرسلُ من ذلك ثلاثمائة وخمسةَ عشرَ جمًّا غفيرًا» فقد ضعفه العلماء، ومنهم العلامة الألباني.

فعن أوس بن أبي أوس وقيل أوس بن أوس والد عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مِنْ أفضَلِ أيَّامِكم يومُ الجمُعة، فيه خُلقَ آدمُ، وفيه قُبِضَ، وفيه النَّفخةُ، وفيه الصَّعقةُ، فأكثِروا عليَّ منَ الصَّلاة فيه؛ فإنَّ صلاتَكم مَعروضةٌ عليَّ. قالُوا: يا رَسولَ اللَّه! وكيف تُعرَضُ صلاتُنا عليكَ وقد أرَمْتَ؟ يَعني: بَليتَ فقالَ: إنَّ اللَّه عزَّ وجلَّ حرَّمَ علَى الأرضِ أنْ تأكلَ أجسادَ الأنبياءِ.» (رواه أبوداود، والنسائي، وابن ماجه وصححه الألباني)

ومما يؤيد صدق هذه الرواية، عثور الصحابة على نبي الله دانيال - عليه السلام - بعد وفاته بثلاثمائة سنة، ولم يتحلل جسده، فعن أبي العالية قال لما افتَتَحنا تُستَرَ وجدْنا في مال بيت الهُرمُزان سريرًا عليه رجلٌ ميتٌ عند رأسه مصحفٌ فأخذنا المصحفَ فحملْناه إلى عمرَ بن الخطاب فدعا له كعبًا فنسخَه بالعربية فأنا أولُ رجلٍ من العرب قرأه قرأتُه مثلُ ما أقرأ القرآنَ هذا فقلتُ لأبي العالية ما كان فيه قال سيرُكم وأمورُكم ولحونُ كلامكم وما هو كائنٌ بعدُ قلتُ فما صنعتُم بالرجلِ قال حفَرْنا بالنهار ثلاثةَ عشرَ قبرًا مُتفرِّقةً فلما كان بالليل دفَنَّاه وسوَّينا القبورَ كلَّها لنُعَمِّيَه على الناس فلا يَنبشونَه قلتُ فما يَرجون منه قال كانت السماءُ إذا حُبِسَتْ عنهم برَزوا بسريره فيُمطَرون قلتُ من كُنتم تظنون الرجلَ قال رجلٌ يقال له دَانيالُ قلتُ منذُ كم وجدتُموه قد مات قال منذ ثلثمائة سنة قلتُ ما تغيَّر منه شيءٌ قال لا إلا شعراتٌ من قَفاه إنَّ لحومَ الأنبياءِ لا تَبليها الأرضُ ولا تأكلُها السِّباعُ»

ثانيًا: ما يرجع إلى الكرامات «أجساد بعض الأولياء»

وقد لا تأكل الأرض أجساد بعض الأولياء كرامة لهم، وذلك على التفصيل الآتي:

تعريف الكرامات:

قال ابن العثيمين - رحمه الله - في " مجموع الفتاوى ": «أما الكرامات، فهي جمع كرامة، والكرامة: أمر خارق للعادة، يجريه الله تعالى على يد ولي، تأييدا له، أو إعانة، أو تثبيتا، أو نصرا للدين.» اهـ

ثالثًا: كرامات الأولياء ليست عامة

إن الله تعالى حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، وهذه معجزة لهم، وهي عامة بجميع الأنبياء- عليهم السلام- لأن الألف واللام للعموم، ولم يأت في الحديث ما يخصصها ببعضهم دون بعض، أما بالنسبة لغيرهم من الأولياء، فلم يأت دليل من القرآن أو السنة على تحريم أكل أجسادهم عموما- كالأنبياء- فيبقون على الأصل العام الذى يعم سائر البشر، وهو فناء، وتحلل أجسادهم، إلا أن يأتى الدليل الحسى، ويصح الدليل النقلى على عدم تحلل أجساد بعض الأولياء، فيثبت لهم ذلك دون غيرهم.

أدلة كرامات عدم تحلل أجساد بعض الأولياء

وبالرغم من أن الله - سبحانه وتعالى - قد سبب الأسباب، ورتب عليها النتائج، إلا أنه قد يعطلها،، وما ذلك عليه بعزيز، فالكون كونه، والخلق خلقه، يتحكم فيهما كيف يشاء، فقد سن الله الفناء والتحلل على أجساد البشر، لحكمة تغياها، إلا أنه إستثنى منهم الأنبياء، وبعض عباده الصالحين، فحافظ على أجسادهم من الفناء والتحلل، ليري عباده من الآيات فى الآفاق، وفى أنفسهم، ما يتبين به الحق من الباطل، والهدى من الضلال، ليهلك من هلك عن بينة، ويحى من حى عن بينة، ومن ينكر وقوع ذلك فهو ينكر قدرة الله المطلقة التى لا يحدها شىء، ويعتقد فى الأسباب إعتقادا جازما يوصله إلى طريق الشرك - والعياذ به - فالواجب على كل مسلم التسليم بقدرته سبحانه وتعالى.

وقد تواترت الأدلة على تلك القدرة الباهرة، وليس أدل على ذلك مما جاء بقصة الفتية أصحاب الكهف والرقيم، التى قال عنها الحق سبحانه وتعالى لنبيه عليه السلام: « أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ

كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا » (الكهف: ٩).

قال العلامة السعدى - رحمه الله - فى " تيسير الكريم الرحمن ": «أى لا تظن أن قصة اصحاب الكهف وما جرى لهم غريبة على آيات الله وبديعة فى حكمته، وأنه لا نظير لها، ولا مجانس لها، بل لله تعالى من الآيات العجيبة والغريبة ما هو كثير من جنس آياته فى أصحاب الكهف، وأعظم منها، وليس المراد بهذا النفى عن أن تكون قصة أصحاب الكهف من العجائب، بل هى من آيات الله العجيبة، وإنما المراد أن جنسها كثير جدا، فالوقوف معها وحدها فى مقام العجب والإستغراب نقص فى العلم والعقل، بل وظيفة المؤمن التفكر بجميع آيات الله والتى دعا الله العباد إلى التفكر فيها، فإنها مفتاح الايمان وطريق العلم واليقين.» اهـ.

عدم تحلل أجساد بعض الأولياء من الأمم السابقة

صبى أصحاب الأخدود:

وردت قصته فى كتاب الله - عز وجل - فى سورة البروج حيث يقول سبحانه وتعالى:

« قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ » (البروج: ٤ - ٢٢).

أولا: شهداء أحد ومنهم:

١- حمزة بن عبد المطلب:

قال القرطبى - رحمه الله - فى «التذكرة»: «و روى نقلة الأخبار: أن معاوية رحمه الله لما أجرى العين التي إستنبطها بالمدينة في وسط المقبرة و أمر الناس بتحويل موتاهم و ذلك في أيام خلافته و بعد الجماعة بأعوام و ذلك بعد أحد بنحو من خمسين سنة فوجدوا على حالهم حتى أن الكل رأوا المسحاة و قد أصابت قدم حمزة إبن عبد المطلب فسال منه الدم و أن جابر بن عبد الله أخرج أباه عبد الله بن حرام كأنما دفن بالأمس و هذا أشهر في الشهداء من أن يحتاج فيه إلى أكثار.» اهـ.

٢- عبد الله بن عمرو بن حرام:

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: «لما حضرَ أُحُدٌ دعاني أبي مِنَ الليل، فقال: ما أراني إلا مَقْتولًا في أوَّلِ مَن يُقْتَل مِن أصحابِ النبيِّ صلَّى الله عليه وسَلَّم، وإني لا أَتْرُكُ بعدي أعزَّ عليَّ منكَ غيرَ نفسِ رسولِ الله صلى الله عليه وسَلَّم، فإنَّ عليَّ دَيْنًا، فاقض، واسْتَوص بإخوَتِكَ خَيرًا، فأصبَحْنا، فكانَ أوَّلَ قَتيلٍ، ودُفِنَ معه آخَرُ في قبرٍ، ثم لم تَطِبْ نَفْسي أنْ أترُكَهُ مع الآخَرِ، فاستَخْرَجتُه بعدَ ستَّةِ أشهُرٍ، فإذا هو كيوم وَضَعتُه هُنَيَّةً، غيرَ أُذُنِه.» (رواه البخارى) وفي رواية: «فَمَا أَنْكَرْتُ مِنْهُ شَيْئًا إلاَّ شُعَيْرَاتٍ كُنَّ فِى لِحْيَتِه ممَّا يَلِي الأَرْضَ.» (رواها أبو داود وصححها الألبانى)

ثانيا: عمر بن الخطاب رضى الله عنه:

عن عروة بن الزبير رضى الله عنه قال: «لما سقطَ عليهمُ الحائطُ في زمانِ الوليد بن عبد الملك، أخذوا في بنائه، فبدتْ لهم قَدَمٌ، ففزعوا، وظنوا أنها قَدَمُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، فما وجدوا أحدًا يعلمُ ذلك، حتى قال لهم عُرْوَةُ: لا والله، ما هي قَدَمُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، ما هي إلا قَدَمُ عمرَ رضي الله عنه.» (رواه البخارى)

وهذه القصة تبين عدم تحلل جسد عمر بن الخطاب بالرغم من مرور فترة زمنية طويلة حيث توفى رضى الله عنه عام ٢٣ هـ، وبداية تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة كان فى عام ٨٧ هـ، فكان بينهما قرابة ٦٤ عاما، وهذه الفترة كافية لتحلل جسده، وعظامه، إلا أن جسده لم يتحلل، حتى ظن الصحابة أنها قدم النبى صلى الله عليه وسلم لعلمهم بأن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، ثم بين لهم عروة أنها قدم عمر رضى الله عنه.

والحمد لله رب العالمين.



السحر وفسخ الخطوبات

إعداد: جمال عبد الرحمن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه،

وبعد: فقد ظهر في هذه الأيام ظاهرة متفشية، وهي مزعجة جدًا ومقلقة في أوساط الأسر والبيوت، ألا وهي ظاهرة تكرار فسخ الخطوبة بعد إتمام الاتفاقات بين الطرفين، وحدوث التراضي بين العروسين، وربما فسخ العقد قبيل البناء والدخول بقليل، وبعد أن يكون عقد الزواج على الأبواب يحدث تراجع من أحد الطرفين بدون أدنى مبررات جوهرية، فما هو سبب تكرار هذا الأمر؛ تارة من جهة الخاطب، وتارة من جهة المخطوبة. تابعوا معنا هذه الشكوى من إحدى الفتيات ثم بعدها ننظر في الأسباب والعلاج.

تقول: أنا فتاة أبلغ من العمر بضعًا وعشرين عامًا، تقدم لخطبتي شاب يكبرني بخمس سنوات، ولقد استخرت الله عدة مرات، وشعرت بالارتياح، وتمت الخطوبة والحمد لله... بعد فترة قصيرة بدأت أشعر بالضيق الشديد من خطيبي رغم أنه شاب ممتاز في تعامله معي ومع كل فرد يخصني، وهذا ما يحيرني بشدة. لماذا أشعر بهذا الضيق منه، وهو لم يرتكب خطأً ليكون سببًا في ذلك؟ اجتهدت بالدعاء والحمد لله تحسن الوضع، وبعد أن حددنا موعدًا للعقد جاء أهله لبيتنا واعتذروا عن كل ما اتفقنا عليه، وقالوا: «كل شيء نصيب»، وتم فسخ الخطبة، رغم أني أحب خطيبي، إلا أنني بسبب ذلك كرهته كرهًا كبيرًا. وما يخيفني بشدة هو أن هذا الشيء تكرر مع أخواتي أكثر من مرة، فقد خُطبَتْ أختي الكبيرة مرتين وشعرَتْ بنفس الضيق، ثم انفصلت عن خطيبها رغم طيبته وحبه لها، ثم خُطبت مرة أخرى وانفصلت عن خطيبها الثاني دون أن يكون هناك سبب مقنع للانفصال سوى أنها تشعر بالضيق منه، ونفس الشيء حدث مع أختي الصغرى، رغم أن علاقتها بخطيبها كانت رائعة وجمعهما حب كبير إلا إنها انفصلت عنه دون سبب وبشكل مفاجئ. الكثير من الأقرباء قالوا لأمي بأن بيتنا مسحور لتعطل الزواج، وينصحونها بالذهاب لفك السحر أو الذهاب للمشايخ لكي يقرؤوا علينا القرآن وغير ذلك، وأنا لا أعرف ماذا أفعل، وأخشى أن يحدث معي مثلما حدث مع أخواتي وهذه أول تجربة لي!! أنا موقنة أنه لن يصيبني إلا ما كتبه الله لي، ولكني خائفة جدًا خاصة وأن هذا تكرر مع أخواتي ثلاث مرات، رغم استخارتي، وأننا على قدر عالٍ من الجمال مقارنة ببنات جيلنا، ومثقفات ولا يعيبنا شيء. أمي وأبي خائفان جداً مما يحدث معنا لكنهما يرفضان التوجه لشيخ لقراءة القرآن علينا وفك السحر، ماذا أفعل؟ وإن كان ذلك سحرًا فكيف يمكننا حل السحر وفكه؟ وما معنى أن يحدث هذا بعد الاستخارة؟.

حقًا هذه الشكوى المرة منتشرة ويعاني منها كثير من الناس بنين وبنات.

علامات السحر أو الحسد:

لا نستطيع الجزم بأن سبب ما يحدث لا بد أن يكون هو السحر أو غيره، السحر له أعراض تظهر في الغالب، منها أن يُحبس الرجل عن امرأته فلا يستطيع جماعها، أو يتخيل حصول أشياء لم تقع، أو أن ينسى كثيرًا، وكما جاء في البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم لمَّا سُحر كان يُخَيل إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله.... الحديث.

ومنها أن يجد الشخص حاله غير مستقر دائمًا، أو غير مرتاح البال غالبًا، أو يجد الشخص نفسه قد ترك العمل فجأة، والطالب المجتهد ترك المذاكرة تمامًا، والشابَّ الصالح ترك الصلاة، وترك التواصل مع غيره ولو كان من الأقربين. وقد يكون من أعراضه ضيق التنفس، وغيره من الأمور الظاهرة، ومع هذه الأعراض، قد تكون له أعراض باطنة، كالرؤى المفزعة، والكوابيس ونحوها... لكن ليعلم أن هذه الأعراض ظاهرة وباطنة لا تدل على السحر بالقطع واليقين، وإلا فكثير من الناس يظهر عليهم ما يشبه هذه الأعراض، دون وجود سحر.

تأثير الحسد والعين:

وربما كان أثر الحسد أقوى من السحر، فتحدث الأشياء السابقة من أثر حسد بعض أصدقائك، أو تحكي لشخص حاسد أي شيء، ثم تجد هذا الشيء فشل فجأة، ولم ينجح ولم يتم، أو جلب عليك ضررًا ما. أو يتأخر زواج البنت مع جمالها، وأدبها، وتدينها، أو يتأخر زواج الشاب إلى سنّ كبير. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «العين تُدْخل الرجلَ القبرَ، وتُدْخلُ الجملَ القدْرَ». انظر صحيح الجامع (٤١٤٤)، والسلسلة الصحيحة (١٢٤٩) عن جابر رضي الله عنه.

وقالت أسماء: يا رسول الله؛ إن بني جعفر تصيبهم العين أفأسترقي لهم؟ قال: «نعم؛ فلو كان شيء سابق القدَر لسبقته العين» (مسند أحمد ح٢١٨٨. وأصله في صحيح مسلم).

وفي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أكثر من يموت من أمتي بعد كتاب الله وقضائه، وقَدَره بالأنفس؛ يعني بالعين». (قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٢/٣٨٤: إسناده حسن).

ولا شك أن الحسد والعين أكثر انتشارًا من السحر، لأنه ليس كل الناس سحرةً، لكن لكل إنسان عين ناظرة، ربما نظرت للشيء، ولو بدون حسد، ولو نظر الشخص إلى نفسه فأعجبته، ولم يقل ما شاء الله تبارك الله، وقعت العين، وحسد الإنسان نفسه، أو غيره يدل على ذلك.

قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا رأى أحدكم من نفسه، أو ماله، أو أخيه ما يحب فليبرِّك، فإن العين حق» (مستدرك الحاكم ٤/٢٤٠ عن عبد الله بن عامر بن ربيعة، يعني يقول: ما شاء الله تبارك لله، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي).

ولا يحب أي إنسان أن يحسد نفسه أو يحسده غيره، لكن عند نسيان «تبارك الله» تقع العين، ولو بدون قصد.

ومشكلة المشاكل أن كثيرًا من الناس يجهل تأثير الحسد والعين، فيُشْهر النعمة، ويُظهر الفرحة، ويشيع الخبر، ويصيح في الخَلْق، فلانة خُطبَتْ، وفلان خَطَبَ، ويطبعون كروت الدعوة، ويدْعون المُحبّ والكاره، ولا بد من القاعة والاحتفال، في الوقت الذي يصعب فيه الزواج على كثير من البنين والبنات، فتقع العين ويضيع كل شيء، ثم نقول: الخاطب خرج ولم يعد، وذهب الحمار بأم عمرو، فلا رجعت ولا رجع الحمار. فإذا كان عندك بنت أو أخت سوف تتم خطبتها، فلا تُفْش الخبر إلا بعد زواجها؛ لأنه كلما أذعتَ خبر خطوبتها كلما زاد احتمال فسخ هذه الخطوبة بسبب حسد غير المتزوجين من الناس لكم.

وإظهار النعم يكون في الملبس والمأكل والمشرب والفسحة والصحة والعضلات، ونهد البنات، ذهابًا وإيابًا، وبدن المرأة وزينتها، ونجاح الأولاد، وزيادة الراتب، وحصول الترقية، والدرجة العلمية، وفي الدابة والسيارة وشراء الأراضي، وتزيين العمارات، والسفر للعمل بالخارج، والزروع والمحاصيل، والقصير والطويل. بل والحج والعمرة، والصيت والشهرة. إلخ.

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محسود" (انظر مسند الشهاب ٧٠٨، صحيح الجامع: ٩٤٣،

السلسلة الصحيحة: ١٤٥٣).

ألا تعلمون أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يخطب حفصة بنت عمر رضي الله عنهما لم يخبر بذلك إلا أخصَّ الخواص كأبي بكر، ولما سئل أبو بكر عن ذلك قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرها، ولم أكن لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم» (مسند أحمد ح٧٤. وإسناده صحيح على شرط الشيخين).

لكن الناس يُشهرون في الخطبة والاتفاقات، وقراءة الفاتحة والتحيات!!! والشبكة والعقد والبناء والقاعات، مع الأخذ في الاعتبار تكلف البذخ في النفقات، والإكثار المتعمد من عدد السيارات، التي تحمل الملابس والمفروشات. فأين تذهبون، من العائن والمعيون؟ أي: الحاسد والمحسود، تجاوز الناس الحدود، فوضع الله في طرُقهم السدود. ثم يقولون: فشلتْ، وكل شيء نصيب. ألم تسمعوا عن زوج مات بعد عقد الزواج بأربع ساعات؟ وعن عروس انقلبت بها سيارة العرس مع عريسها، أو سقطت بهما في البحر. وكل ذلك واقع وحقيقة وأكثر من ذلك. إنها العين والحسد.

العلاج:

كلما زادت ذنوبك وقلت حسناتك، كلما ضَعُفْتَ أمام ضرر العين الحسد أو السحر، وكلما زادت حسناتك، وقلت ذنوبك كلما كنت قويًا في مقاومة ضرر العين الحسد والسحر، فلا يضرك شيء إن شاء الله، ولأن الإقلال من المعاصي وتحرّي رضا الله تعالى هو من حفظ الله؛ الذي يحفظ من حفظه.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا غُلَامُ احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَسَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ...» (الترمذي ح٢٥١٦. وصححه الألباني).

إن علاج السحر والحسد لا ينجح أبدًا عند الدجالين والمشعوذين والجاهلين.

لكن علاج الحسد والسحر هو ستر النعم، والاستقامة على شرع الله سبحانه كما أمر الله، وليس على بعض أمره سبحانه دون بعض، لقوله تعالى: « فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ »(هود/١١٢). من ذلك:

١- العناية بالقرآن الكريم تلاوةً وتدبرًا واستماعًا وعملًا وتحاكمًا واستشفاءً، وخص بذلك سورة البقرة تلاوةً، وتدبرًا، وعملًا بما فيها من أحكام.

عن أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيّ رضي الله عنه قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ؛ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ". قَالَ مُعَاوِيَةُ: بَلَغَنِي أَنَّ الْبَطَلَةَ: السَّحَرَةُ. (مختصر صحيح مسلم للمنذري ح٢٠٩٥).

٢- المحافظة على أذكار الصباح والمساء دائمًا، والأذكار الأخرى العامة والخاصة، والتسمية باسم الله قبل كل عمل وقبل دخول البيت والخروج منه، وكذلك دورة المياه، أو الدخول والخروج من مكان العمل أو ركوب الدابة والسيارة. وترديد كلمات الرقية الشرعية الصحيحة المذكورة عن الرسول الكريم.

قال الله تعالى: (ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ)(الرعد: ٢٨).

٣- الابتعاد عن أصدقاء السوء، والملهيات عن العبادة، وعدم الانسياق وراء دنيا الناس التي شغلتهم عن الدين، من لعب ولهو وزينة، ومعرفة أن ذلك عاقبته إلى الخسران، خاصة إذا كان سببًا في إهمال الواجبات الشرعية. قال الله تعالى: « ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ » (الحديد: ٢٠).

وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالط" وفي رواية: "من يخالل" (مسند أحمد ح٨٠٢٨).

فإن من الناس من سيأتي عليه يوم يصرخ في القيامة ويولول ويعض على أصابع الغفلة والندم كما قال ربنا-جل وعلا-: « وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا » (الفرقان: ٢٧-٢٩).

وللحديث بقية إن شاء الله.





الحلقة (٢٢٢)

قصة منكري السنة

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت وانتشرت على ألسنة كثير ممن لا دراية لهم بالسنة الصحيحة المطهرة، ولا دراية لهم بالصناعة الحديثية، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:


إعداد: علي حشيش

أولاً: أسباب البحث في هذه القصة:

أ- في هذه الأيام انتشرت في الصحف والمجلات والقنوات مقالات وأصوات تشكك في منزلة السنة من التشريع الإسلامي على وجه العموم، ومنزلة السنة من القرآن على وجه الخصوص، ولو اطلعت على هؤلاء سواء في صحف أو قنوات لوجدتهم لا دراية لهم بهذا العلم، ولا بتاريخ السنة، ولا بمناهج المحدثين الأوائل، ولا بمناهج علماء الجرح والتعديل.

ب- وإن تعجب فعجب إطلاق اسم (قرآنيين) على هؤلاء المشككين والمطالبين باستبعاد السنة المطهرة جملة وتفصيلاً من دائرة التشريع والأحكام والاعتماد على القرآن وحده، ولا يحق لهؤلاء إلا اسم واحد، وهو (منكرو السنة)، ولفظ قرآني بريء من هؤلاء؛ لأن القرآن هو الذي يأمر بالأخذ بالسنة، وبرهان ذلك ما أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» (ح٤٨٨٦)، والإمام مسلم في «صحيحه» (٢١٢٥) وهو حديث في أعلى درجات الصحة عند أهل الصنعة الحديثية من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قال: لعن اللهُ الواشماتِ والمستوشماتِ، والنامصاتِ والمتنمصاتِ، والمتفلجاتِ للحسنِ المغيِّراتِ خلقَ اللهِ. قال فبلغ ذلك امرأةً من بني أسد، يقال لها: أم يعقوب. وكانت تقرأُ القرآنَ. فأتَتْه فقالت: ما حديثٌ بلغني عنك؛ أنك لعنتَ الواشماتِ والمستوشماتِ والمتنمصاتِ والمتفلجاتِ للحُسْنِ المغيِّراتِ خلقَ اللهِ. فقال عبدُ اللهِ: وما لي لا ألعنُ من لعنَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم؟ وهو في كتابِ اللهِ. فقالت المرأةُ: لقد قرأتُ ما بين لوحي المصحفِ فما وجدتُه فقال: لئن كنتِ قرأتِيه لقد وجدتِيه. قال اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ (الحشر: ٧). فقالت المرأةُ: فإني أرى شيئًا من هذا على امرأتكَ الآن. قال: اذهبي فانظري. قال فدخلت على امرأةِ عبدِاللهِ فلم ترَ شيئًا. فجاءت إليه فقالت: ما رأيتُ شيئًا. فقال: أما لو كان ذلك، لم نُجامعها.

قال الإمام النووي في «شرح مسلم» لهذا الحديث: قوله: «لو كان ذلك لم نجامعها»: قال جماهير العلماء: معناه لم نصاحبها، ولم نجتمع نحن وهي، بل كنا نطلقها ونفارقها. اهـ.

ونستنتج من هذا الحديث:

١- هذا هو عبد الله بن مسعود الصحابي الجليل رضي الله عنه يبين في هذا الحديث المتفق عليه، منزلة السنة من التشريع الإسلامي على وجه العموم، ومنزلة السنة من القرآن على وجه الخصوص بما تعلمه من النبي صلى الله عليه وسلم حفظًا وفهمًا وعملاً، فقد أخرج شيخ المفسرين ابن جرير الطبري في «تفسيره» (ح٨١) من حديث عبد الله بن مسعود قال: «كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن». اهـ.

قلت: وأخرج ابن جرير الطبري في «تفسيره» (ح٨٢) من حديث أبي عبد الرحمن قال: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا أنهم كانوا يستقرئون القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم، فكانوا إذا تعلموا آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعًا. اهـ.

٢- ولقد تبين من الحديث الذي أوردناه آنفًا (حديث لعن الله الواشمات) تعلم الصحابة القرآن والعمل جميعًا، ودقيق فهم آيات القرآن الكريم كما يتبين من سؤال أم يعقوب وكانت تقرأ القرآن عندما أتت الصحابي عبد الله بن مسعود، وقالت: ما حديث بلغني عنك، أنك لعنت الواشمات.. فقال عبد الله: وما لي لا ألعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو في كتاب الله. فقالت المرأة: لقد قرأت ما بين لوحي المصحف فما وجدته. أي أنها قرأت القرآن من أول آية إلى آخر آية فلم تجد آية في القرآن فيها لعن الله الواشمات والمستوشمات، ولم تجد آية في القرآن فيها لعن الله النامصات والمتنمصات، ولم تجد آية في القرآن فيها لعن الله المتفلجات للحسن المغيرات خلق الله.

فأجاب الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إجابة تكتب بأحرف من نور على جبين الزمان، فقال: «لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه، أما قرأت: «وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟» (الحشر:٧)، قالت: بلى، قال: فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى عنه». اهـ.

فسألت بعد ذلك عن العمل بهذا الحديث في أهله فقال: «اذهبي فانظري». اهـ.

٣- هذا الحديث قاعدة من القواعد الأصولية التي بها تطمئن قلوب أهل الحديث للعمل بالسنة، وفي نفس الوقت صاعقة مرسلة على منكري السنة المطالبين باستبعاد السنة المطهرة جملة وتفصيلاً من دائرة التشريع والأحكام والاعتماد على القرآن وحده، وهذا الحديث أكبر شاهد على جهلهم بالقرآن، وعدم تدبرهم له، وحق فيهم قول الله تعالى: «أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ» (محمد:٢٤)، هذه الأقفال التي حالت بينهم وبين تدبر القرآن وضعها على قلوب ما تعلموه من دعاة الغزو الفكري من المستشرقين وأهل الكلام وكل من قلدهم وسار في فلكهم ممن غرهم بريق الثقافة الغربية.

فكيف سوّلت لكم أنفسكم أن تدلسوا على الناس أنتم ومن وراءكم في الصحف والقنوات وتستترون وراء اسم (قرآنيين)، ولقد بينا أنكم أبعد ما يكون عن القرآن، ولا يحق لكم إلا اسم واحد وهو «منكرو السنة».

٣- إن منكري السنة لا علاقة لهم بالقرآن ولا فهم القرآن ولا تدبر القرآن فضلوا وأضلوا، لقد بيَّن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما في هذا الحديث عارهم وكشف عوارهم وبيَّن للأمة منزلة السنة من القرآن بعلمه وتدبره للقرآن هذا العلم الذي بينه الإمام البخاري في «صحيحه» (٥٠٠٢)، والإمام مسلم في «صحيحه» (ح٤٦٦٣) قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما: «وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنْزِلَتْ، وَلَا أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أُنْزِلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ تُبَلِّغُهُ الْإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ».

٤- هل بعد هذا نترك هؤلاء الضالين المضلين المنكرين للسنة المطهرة يضلون الناس في الصحف والقنوات، لقد بينا أنهم أجهل الناس بالقرآن أمام أعلم الناس من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرآن، كما بين ذلك الإمام البخاري في صحيحه (٥٠٠)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٤٦٢) من حديث شقيق بن سلمة قال: خطبنا ابن مسعود

فقال: «والله لقد أخذت من فيَّ- فم- رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعًا وسبعين سورة، والله لقد علم أصحابُ النبي صلى الله عليه وسلم أني من أعلمهم بكتاب الله وما أنا بأخيرهم، قال شقيق: فجلست في الحلق أسمع ما يقولون فما سمعت رادًا يقول غير ذلك».

فائدة: هذا بيان نرد به على منكري سنة النبي صلى الله عليه وسلم وعلى كثير من القصص والأحاديث التي وضعها أعداء السنة، وما قدمناه قاعدة أصولية مهمة تكشف للقارئ الكريم نكارة هذه القصة.

ثانيا: المتن:

رُوِيَ عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «سُئلت اليهود عن موسى، فأكثروا وزادوا ونقصوا حتى كفروا، وسُئلت النصارى عن عيسى، فأكثروا فيه وزادوا ونقصوا حتى كفروا، وإنه سيفشو عني أحاديث، فما أتاكم من حديثي، فأقروا كتاب الله واعتبروه، فما وافق كتاب الله فأنا قلته، وما لم يوافق كتاب الله فلم أقله». اهـ.

ثالثا: التخريج:

الخبر الذي جاءت به هذه القصة الواهية أخرجه الإمام الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني المتوفى سنة (٣٦٠هـ) في «المعجم الكبير» (٣١٦/١٢) (ح١٣٢٢٤) قال: حدثنا علي بن سعيد الرازي، حدثنا الزبير بن محمد بن الزبير الرهاوي، حدثنا قتادة بن الفضيل، عن أبي حاضر عن الوضين، عن سالم بن عبد الله بن عبد الله بن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سُئلت اليهود....» الحديث.

رابعا: التحقيق:

هذا الخبر لا يصح والقصة واهية وإسنادها مسلسل بالعلل:

العلة الأولى: الوضين قال الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٧٢٨٣/٣٨٣/١٩):

«الوضين بن عطاء بن كنانة بن عبد الله بن مصدع الخزاعي أبو كنانة، ويقال أبو عبد الله الدمشقي، روى عن سالم بن عبد الله بن عمر وآخرين، وروى عنه أبو حاضر عبد الملك بن عبد ربه وآخرون، ثم نقل أقواله أئمة الجرح والتعديل فيه.

١- قال أبو حاتم: «تعرف وتنكر». اهـ.

٢- وقال أبو زُرعة الدمشقي: حُدِّثت عن محمد بن عثمان قال: سألت سعيد بن بشير عن الوضين بن عطاء، فقال: كان صاحب منطق. اهـ.

٣- وقال محمد بن سعد: كان ضعيفًا في الحديث.

٤- وقال عبد الباقي بن قانع: ضعيف.

٥- وقال الهيثم بن خارجة عن الوليد بن مسلم: «كان صاحب خُطب، ولم يكن في الحديث بذاك». اهـ.

٦- وقال إبراهيم بن يعقوب السعدي الجوزجاني: «واهي الحديث». اهـ.

قلتُ: وبالتحقيق قال الإمام الحافظ الناقد إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق السعدي الجوزجاني في كتابه «أحوال الرجال» (٣٠٤): «الوضين بن عطاء واهي الحديث». اهـ. وأقره الحافظ الذهبي في «الميزان» (٩٣٥٢/٣٣٤/٤).

العلة الثانية: أبو حاضر قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٣٦٢/٢/٤) ترجمة (١٦٥١): «أبو حاضر روى عن الوضين بن عطاء، روى عنه قتادة بن فضيل سألت أبي عنه فقال: هو مجهول».

العلة الثالثة: قتادة بن الفضيل.

قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (١٢٣/٢): «قتادة بن الفضيل بن قتادة الحرشي أبو حميد الرهاوي: مقبول». اهـ. وبين هذا المصطلح الحافظ ابن حجر في «مقدمة التقريب» (٥/١) وجعله من المرتبة السادسة من مراتب الجرح والتعديل، فقال: «السادسة: من ليس له من الحديث إلا القليل وإليه الإشارة بلفظ مقبول حيث يتابع وإلا فلَيِّن». اهـ.

العلة الرابعة: الزبير بن محمد بن الزبير الرهاوي أورده الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٥٤٣٥/٢٣٣/١٥) في الرواة عن قتادة بن الفضيل ولا يعرف فالخبر الذي جاءت به هذه القصة الواهية منكر، والسند تالف برواته ممن هو مجهول، وممن هو واهي الحديث.

خامسًا: طريق آخر:

يحاول كثير من منكري السنة أن يذكروا متابعًا للجزء الثاني من الخبر الذي جاءت به هذه القصة وهو «إنه سيفشو عني أحاديث فما آتاكم من حديثي

فاقرأوا كتاب الله واعتبروه فما وافق كتاب الله فأنا قلته، وما لم يوافق كتاب الله فلم أقله». اهـ.

قال الشيخ الإمام أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري المتوفى سنة ٣٨٧هـ في كتابه «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرقة المذمومة» (٦١/١) (ح١٠٢) قال: «وأنا أذكر حديثًا يحتج به المبطلون للشريعة، ويحتال به المموهون وأهل الخديعة، ليعرفه إخواننا فيردوه على من احتج به عليهم، وهو حديث رواه رجل جرحه أهل العلم بالحديث وأسقطوه، حدث بأحاديث بواطيل، وأنكرها عليه يعرف هذا الرجل بعثمان بن عبد الرحمن الوقاصي.

قلتُ: ثم أخذ يبين هذا الحديث فقال: حدثنا أبو الحسن أحمد بن زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن الساجي البصري قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا محمد بن الحارث المخزومي قال: حدثنا يحيى بن جعدة المخزومي، عن عمر بن حفص، عن عثمان بن عبد الرحمن يعني الوقاصي عن سالم عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا عمر، لعل أحدكم متكئ على أريكته ثم يكذبني، ما جاءكم عني فاعرضوه على كتاب الله، فإن وافقه فأنا قلته، وإن لم يوافقه فلم أقله». اهـ.

قال ابن الساجي: قال أبي رحمه الله: هذا حديث موضوع عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: بلغني عن علي بن المديني أنه قال: ليس لهذا الحديث أصل، والزنادقة وضعت هذا الحديث.

ثم قال ابن بطة: وصدق ابن الساجي وابن المديني رحمهما الله؛ لأن هذا الحديث كتاب الله يخالفه، ويكذب قائله، وواضعه، والحديث الصحيح والسنة الماضية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ترده، قال الله عز وجل: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء:٦٥).

سادسًا: التفرقة بين حديثين:

١- حتى لا يخلط البعض بين هذا الحديث الموضوع الذي أخرجه الإمام ابن بطة في الإبانة الذي يحتج به المبطلون وحذر منه وبين علته وهو عثمان بن عبد الرحمن الوقاصي والذي أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٥٥٣١/٤٣/٣)، ونقل أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه، قال ابن معين: ليس بشيء يكذب، وضعفه علي بن المديني جدًّا، وقال النسائي والدارقطني متروك. اهـ.

قلتُ: وهذا الحديث الذي حكم عليه الأئمة بأنه «موضوع»، وهو الكذب المختلق المصنوع، ويبدأ بلفظ: «يا عمر لعل أحدكم متكئ على أريكته ثم يكذبني»، وفي هذا الحديث الأمر بعرض الحديث على كتاب الله، فإن وافقه فأنا قلته، وإن لم يوافقه فلم أقله.

٢- الحديث الصحيح-الذي يكذب هذا الحديث- وهو معجزة من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم.

أخرجه الإمام الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى سنة (٢٧٥هـ) في «السنن» (٢٠٠/٧) (ح٤٦٠٤) كتاب «السنة» باب «لزوم السنة»، قال: حدثنا عبد الوهاب بن نجدة، حدثنا أبو عمرو بن كثير بن دينار، عن حريز بن عثمان، عن عبد الرحمن بن أبي عوف، عن المقدام بن معديكرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا يحل لكم لحم الحمار الأهلي ولا كل ذي ناب من السباع، ولا لقطة معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يَقْرُوه فإن لم يَقْرُوه فلهم أن يعقبهم بمثل قِرَاهُ». اهـ.

وأخرجه أيضًا الإمام الترمذي في «السنن» (٣٧/٤) (ح٢٤٦٤)، والإمام ابن ماجه في «السنن» المقدمة: باب تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والتغليظ على من عارضه (٦/١) (ح١٢)، والدارمي في «السنن» (١٥٣/١) (ح٥٨٦)، والإمام أحمد في «المسند» (١٣١/٤، ١٣٢).

قلتُ: هذا الحديث الثابت يبين منزلة السنة من التشريع أيضًا في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ألا أني أوتيت القرآن ومثله معه»، وهو لفظ أحمد.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.



قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

حوار هادئ للحافظ عثمان بن سعيد الدارمي .. في رد عادية من تأولوا (نزوله تعالى ومجيئه وإتيانه): بـ (نزول رحمته ومجيء أمره وإتيان عذابه)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، ومن والاه.. وبعد:

فمن المهم أن ندرك أن ما يَعِنُّ لنا في زماننا من قضايا الاعتقاد، قد عرض لها من سبقونا بالإيمان، والأهم أن نستوعب ما سطروه من عبارات وحوارات وأن نُفيد منهم؛ كونهم أقرب من عصر النبوة زمنًا، وأكثر بأمور الاعتقاد فهمًا ووعيًا، وأفضل منا انقيادًا وعلمًا وعملاً.. ومن هذا المنطلق ننقل مناظرة جرت بين الحافظ الناقد (عثمان بن سعيد الدارمي) (ت٢٨٠) وبين (بشر بن غياث المريسي) في مسألة تأويل نزوله تعالى وإتيانه ومجيئه، وقد دُبِّجت هذه المناظرة تحت عنوان: (الرد على المريسي)، وأتى نصها ضمن سلسلة: (عقائد السلف) للنشار ص٢٩٢.

ومما جاء فيها: لقد "ادعى المعارض أن الله لا ينزل بنفسه إنما ينزل أمره ورحمته.. وهذا من حجج من ليس عنده بيان ولا لمذهبه برهان، لأن أمر الله ورحمته ينزل في كل ساعة ووقت وأوان، وإلا فما بال النبي عليه السلام يَحدُّ لنزوله الليلَ دون النهار، ويُوَقِّت من الليل شطره أو الأسحار؟ أيُقدِر (الأمر والرحمة) أن يتكلما

إعداد د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

دونه فيقولا: (هل من داع فأجيب؟؛ هل من مستغفر فأغفر له؟؛ هل من سائل فأعطيه؟)؛ فإن قررت مذهبك، لزمك أن تدَّعي أن (الرحمة والأمر): هما اللذان يدعوان إلى الإجابة والاستغفار بكلامهما دون الله، وهذا محال عند السفهاء فكيف عند الفقهاء؟.. وما بال رحمته وأمره ينزلان من عنده شطر الليل، ثم لا يمكثان إلا إلى طلوع الفجر ثم يُرفعان، وقد علمتم أن هذا التأويل أبطل باطل لا يقبله إلا جاهل؟.

وأمَّا دعواك أن تفسير (القيوم): (الذي لا يزول من مكانه ولا يتحرك)، فلا يُقبل منك إلا بأثر صحيح مأثور عن رسول الله أو عن بعض أصحابه أو التابعين، لأن الحي القيوم يفعل ما يشاء ويهبط ويرتفع إذا شاء ويقبض ويبسط إذا شاء، ومن يلتفتُ إلى تفسيرك مع تفسير الرسول إذا فسَّر نزوله مشروحًا منصوصًا، ووقَّت لنزوله وقتًا مخصوصًا، لم يَدَع لك فيه لبسًا ولا عويصًا.. فكما نحن لا نكيف هذه الصفات، لا

نكذّب بها كتكذيبكم ولا نفسرها كتفسيركم"، وفي هذا إشارة إلى أن التفسير المنهي عنه في عبارات السلف، هو: تفسير الجهمية والمعطلة الذين يصرفون الصفات الخبرية والفعلية عن ظاهرها.. وقد تبعهم في ذلك -للأسف-: الأشاعرة.

وقال ص٣١٧ بنفس المصدر -في تحقيق إتيانه تعالى يوم القيامة لمقاضاة عباده، وفي رد شبه من تأوله بإتيان عذابه-: "وادعيت أيها المريسي في قوله تعالى: (أو يأتي ربك) (الأنعام/ ١٥٨)، وقوله: (إلا أن يأتيهم الله) (البقرة/ ٢١٠)، أن هذا ليس منه بإتيان.. وأنه لا يأتي هو بنفسه"..

إلى أن قال في رد هذا -والكلام لكل من قال بقول المريسي ودان بمذهبه من الأشاعرة-: "قد اتفقت الكلمة من المسلمين أن الله فوق عرشه وسماواته، وأنه لا ينزل قبل يوم القيامة لعقوبة أحد من خلقه، ولم يشكّوا أنه ينزل يوم القيامة ليفصل بين عباده ويحاسبهم ويثيبهم، وتَشَقّق السماوات يومئذ لنزوله، وتنزل الملائكة تنزيلاً، ويحمل عرش ربك فوقهم ثمانية كما قال الله ورسوله، فلما لم يشكّ المسلمون أن الله لا ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة لشيء من أمور الدنيا، علموا يقينًا أن ما يأتي الناسَ من العقوبات إنما هو أمره وعذابه..

ألا ترى أنه قال: (فأتى الله بنيانهم من القواعد)، ولم يذكر عندها نفخَ الصور ولا تشققَ السماء ولا تنزلَ الملائكة ولا حَمْلَ العرش ولا يومَ العرض، ولكن قال: (فخَرّ عليهم السقف من فوقهم) في دنياهم، (وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) (النحل/ ٢٦) فرد الإتيان إلى العذاب".. ثم ساق لمجيئه تعالى يوم القيامة حديث: (يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئًا فليتبعه، فيقول المؤمنون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه)، وأثرًا لابن عباس بنحوه.

وفي تفاصيل ما سبق يقول الدارمي في كتابه (الرد على الجهمية) -ضمن (عقائد السلف) ص٢١٥-: "والآثار التي جاءت عن الرسول في نزول الرب، تدل على أن الله فوق السماوات على عرشه بائن من خلقه.. والذي يقْدر على النزول يوم القيامة من السماوات كلها ليفصل بين عباده، قادر على أن ينزل كل ليلة من سماء إلى سماء"، إلى أن قال -بعد ذكره أحاديث نزوله كل ليله، ونزوله يوم القيامة للحساب، ونزوله لأهل الجنة-:

"فهذه الأحاديث قد جاءت كلها وأكثر منها في نزول الرب في هذه المواطن، وعلى تصديقها والإيمان بها: أدركنا أهلَ الفقه والبصر من مشايخنا، لا ينكرها منهم أحد ولا يمتنع من روايتها، حتى ظهرت هذه العصابة فعارضت آثار رسول الله بردٍّ، وتشمروا لدفعها بجدّ، فقالوا: كيف نزوله هذا؟! قلنا: لم نُكَلَّف معرفة كيفية نزوله في ديننا، ولا تعقله قلوبنا، وليس كمثله شيء من خلقه فنشبِّه منه فعلاً أو صفة بفعالهم وصفتهم، ولكن ينزل بقدرته ولطف ربوبيته كيف يشاء، فالكيف منه غير معقول، والإيمان بقولِ الرسول واجب، ولا يُسأل الرب عما يفعل كيف يفعل وهم يسألون، لأنه القادر على ما يشاء أن يفعله كيف يشاء، وإنما يقال لفعل المخلوق الضعيف الذي لا قدرة له إلا ما أقدره الله عليه: كيف يصنع؟ وكيف قدر؟

ولو قد آمنتم باستواء الرب على عرشه، وارتفاعه فوق السماء السابعة بدءًا إذ خلقها، كإيمان المصلين به، لقلنا لكم: ليس نزوله من سماء إلى سماء بأشد عليه، ولا بأعجب من استوائه عليها إذ خلقها بدءًا، فكما قَدَر على الأولى منهما كيف يشاء، فكذلك يقدر على الأخرى كيف يشاء، وليس قول الرسول في نزوله بأعجب من قوله تعالى: (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) (البقرة/ ٢١٠)، وقوله: (وجاء ربك والملك صفا صفا) (الفجر/ ٢٢)، فكما يقْدر على هذا يقدر على ذاك، فهذا المنطوق من قول الله والمحفوظ من قول رسول الله، ليس عليه غبار؛ فإن كنتم من عباد الله المؤمنين، لزمكم الإيمان بها كما آمن بها المؤمنون، وإلا فصرحوا بما تضمرون، ودعوا هذه الأغلوطات التي تلوون بها ألسنتكم، فلئن كان أهل الجهل في شك من

أمركم، إن أهل العلم من أمركم لعلى يقين.

ويقال لمن تأول وقال: (معنى إتيانه في ظلل من الغمام ومجيئه والملك، كمعنى كذا وكذا): هذا تكذيب للآية صراحًا، تلك معناها بيّنٌ للأمة لا اختلاف بيننا وبين المسلمين في معناها المفهوم المعقول عند جميع المسلمين.. وإنما يأتيهم يومئذ كذلك لمحاسبتهم، وليصدع بين خلقه ويقررهم بأعمالهم ويجزيهم بها، ولِيُنصف المظلوم منهم من الظالم، لا يتولى ذلك أحد غيره، فمن لم يؤمن بذلك لم يؤمن بيوم الحساب).

ولكن إن كنتم محقين في تأويلكم هذا وما ادعيتم من باطلكم -والتحدي هنا موجه أيضًا لمن سار على هدي جهم وبشر في تأويلاتهم الباطلة- فأتوا بحديث يقوّي مذهبكم فيه عن رسول الله أو بتفسير تأثرونه صحيحًا عن أحد من الصحابة أو التابعين كما أتيناكم به عنهم لمذهبنا، وإلا فمتى نزلت الجهمية من العلم بكتاب الله وبتفسيره المَنزلة التي يجب على الناس قبول قولهم فيه، وتَـرْك ما يؤثر من خلافهم عن الرسول وأصحابه والتابعين بعدهم؟.. فإن أبيتم إلا لزومًا لتفسيركم ومخالفة لما احتججنا به من كتاب الله وآثار رسول الله وأصحابه، فإنه ليس لكم من الرسوخ في العلم والمعرفة بالكتاب والسنة ما يُعتمد فيه على تفسيركم لو قد أصبتم الحق؛ فكيف إذا أنتم أخطأتموه؟".

ثم قال فيما يمثل قاعدة وأصلاً عظيمًا في رد كل ما يدعيه أهل التأويل والتحريف في صفات الله: "قد علمتم ذلك -أي أحاديث النزول وآثار الصحابة والتابعين- ورويتموها كما رويناها، فأتوا ببعضها أنه لا ينزل منصوصًا كما روينا عنهم النزول منصوصًا، حتى يكون بعض ما تأتون به ضدًا لبعض ما أتيناكم به، وإلا لم يَدفع إجماعَ الأمة وما ثبت عنهم في النزول منصوصها بلا ضد، منصوصٌ من قولكم أو من قول نظرائكم، لأن أقاويلهم ورواياتهم شيء لازمٌ وأصل منيع، وأقاويلكم ريح ليست بشيء، ولا يلزم شيء منها أحدًا إلا أن تأتوا فيها بأثر ثابت مستفيض في الأمة كاستفاضة ما روينا عنهم، ولن تأتوا به أبدًا..

ثم قلتم: إنما يوصف بالنزول من هو في مكان دون مكان، فأما من هو في كل مكان فكيف ينزل إلى مكان؟)، قلنا: هذه صفةٌ خلاف صفة رب العالمين، ولا نعرف بهذه الصفة شيئًا إلا هذا الهواء الداخل في كل مكان النازل على كل شيء، فإن لم يكن ذلك إلهكم الذي تعبدون، فقد صرتم في عبادة ما تعبدون أسوأ منزلة من عبادة الأوثان وعبادة الشمس والقمر، لأن كل صنف منهم عبد شيئًا هو عند الخلق شيء، وعبدتم أنتم شيئًا هو عند الخلق لا شيء، ولأن الكلمة قد اتفقت من الخلق كلهم أن (الشيء) لا يكون إلا بصفة وأن (لا شيء) ليس له صفة؛ فلذلك قلتم: لا صفة له؛ وقد أكذبكم الله فسمى نفسه أكبر الأشياء وأعظم الأشياء وخلاّق الأشياء قال تعالى: (قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم) (الأنعام/ ١٩)، وقال: (كل شيء هالك إلا وجهه) (القصص/ ٨٨)".

الدارمي يواصل نقض حجج المتأولين النزول بقرائن اللغة، والنقل، والعقل:

وفي نقضه دعاوى المتأولين لنزوله تعالى، جعل الدارمي يكشف -في رده على المريسي جـ٢ وهو في (عقائد السلف) ص٣٥٤- عن أنه ليس ثمة "حديث روي عن النبي أنقض لدعواكم من أن الله في كل مكان: من حديث النزول؛ لما أنكم تقولون لا يخلو منه، فكيف ينزل من مكان إلى مكان من هو في كل مكان؟؛ فكان من أعظم حجج المعارض لدفع حديث رسول الله في النزول، حكاية حكاها عن أبي معاوية الضرير لعلها مكذوبة عليه أنه قال: (نزوله: أمره، وسلطانه، وملائكته، ورحمته)، وما أشبهها..

فقلنا له: أيها المعارض، أما لفظ الرسول فيَنقُض ما حكيتَ؛ لأن لفظ الحديث (إذا مضى ثلث الليل نزل الله إلى السماء الدنيا، فيقول: هل من داع فأجيب؟.. الحديث)، فلو كان على ما حكيتَ عن أبي معاوية وادعيته أنت أيضًا أنه: أمره، ورحمته، وسلطانه، ما كان أمره وسلطانه يتكلم بمثل هذا ويدعو الناس إلى استغفاره وسؤاله دون الله، ولا كانت الملائكة يدعون الناس إلى إجابة الدعوة وإلى المغفرة وإعطاء السؤال، لأن

اللّه ولي ذلك دون مَن سواه"..

إلى أنْ قال: "إن أمر اللّه، وملائكته، ورحمته، وسلطانه دائبًا، ينزل آناء الليل وآناء النهار وفي كل ساعة لا يُفتر ولا ينقطع، فما بال ثلث الليل خُصَّ بنزوله ورحمته وأمره من بين أوقات الليل والنهار حتى وقّت رسول اللّه لذلك وقتًا آخر فقال: (إلى أن ينفجر الفجر)؟؛ ففي دعواك: تَنْزِلُ رحمته على الناس في ثلث الليل فإذا انفجر الفجر رُفعت، وهذا واللّه تفسير محال، وتأويل ضلال، يشهد عليه ظاهر الحديث بالإبطال".

ولا يَكُفّ الدارمي عن ترداد تعجبه من تلكم التأويلات التي اخترعها جهم ومن تبعه، فيقول: "أرأيت إن كان نزوله: أمره، ورحمته، فما بال أمره ورحمته لا تنزل إلا في ثلث الليل ثم إلى السماء الدنيا؟؛ وما بال أمره، ورحمته لا تنزل إلى الأرض حيث مستقر العباد ممن يريد اللّه أن يرحمه، ويجيبه، ويعطيه؟ وما بالها تنزل إلى السماء الدنيا ثم لا تجوزها؟ وما بال رحمته تبقى على عباده من ثلث الليل إلى انفجار الفجر ثم ترجع من حيث جاءت؟؛ وما بال من يريد اللّه أن يرحمه إذ اللّه في الأرض، فإذا استرحمه عباده واستغفروه، وتضرعوا إليه بَعُدَت عنهم رحمته إلى السماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام، ولا يغشيهم إياها وهو معهم في الأرض بزعمك إذ زعمت أن نزوله تقريب رحمته إليهم؟..

والحديث نفسه يُبطل هذا التفسير ويُكذبه، غير أنه أغيظ حديث للجهمية وأنقض شيء لدعواهم، لأنهم لا يُقرون أن اللّه فوق عرشه فوق سماواته ولكنه في الأرض كما هو في السماء، فكيف ينزل إلى السماء الدنيا مَن هو تحتها في الأرض؟".

وفي رده شبهة أن المجيء والانتقال من مكان إلى مكان والإتيان في ظلل صفات للمخلوق يتنزه عنها الخالق، وأن ذاك أمر يستوجب تأويلها على إضمار وتقدير: (يأتيهم أمره في ظلل من الغمام) وهكذا.. يقول الدارمي ص٣٩٥ من المصدر ذاته: "يقال لهذا المعارض: قد فسَرتَ هذه الآية على خلاف ما عَنَى وفسَرها رسول اللّه وعلى خلاف ما فسرها أصحابه، قد روينا تفسيرها عنهم في صدر هذا الكتاب بأسانيدها المعروفة المشهورة، فمَن مفسروك هؤلاء الذين تحكي عنهم أنهم قالوا فيها كذا، وقال آخرون فيها كذا؟، مَن هؤلاء الأولون والآخرون؟، اكشف عن رؤوسهم وسمِّهم بأسمائهم فإنك لا تكشف إلا عن زنديق، أو جهمي لا يؤمن باللّه ولا باليوم الآخر، ولا أحد يحكم لك بتفسير هؤلاء على تفسير هؤلاء الذين سمَّيناهم لك من أصحاب رسول اللّه مثل: ابن عباس، وابن عمر، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب، ونظرائهم، ومن التابعين: مثل سعيد بن جبير، ومجاهد، والسُّدي، وقتادة، وغيرهم، فعن أيهم تحكي هذه التفاسير التي تَرُدُّ بها على رب العالمين؟..

وأما ما ادعيت من انتقال مكان إلى مكان أن ذلك صفة المخلوقين: فإنا لا نكيِّف مجيئَه وإتيانَه أكثر مما وصف كتابه ثم ما وصف رسوله، وقد رُوي عن ابن عباس في تفسيرها: (أن السماء تشقق لمجيئه يوم القيامة وتنزل ملائكة السماوات، فيقول الناس: أفيكم ربنا؟؛ فيقولون: لا، وهو آت؛ حتى يأتي اللّه في أهل السماء السابعة وهم أكثر من دونهم)، وهو مكذب لدعواك أنه إتيان الملائكة بأمره دون مجيئه، لكنه فيهم مُدَبِّر، ويلك! لو كانت الملائكة هي التي تجيء وتأتي دونه؛ ما قالت الملائكة: (لم يأت ربنا، وهو آت)، والملائكة آتية نازلة حين يقولون ذلك، أرأيتم دعواكم أن اللّه في كل مكان؟، أوَلَم يكن قَبل السماء والأرض على العرش فوق الماء، فكيف صار بعدُ في السماء والأرض في دعواكم؛ وفي دعوانا استوى إلى السماء دون الأرض، فكما قَدَر على ذلك فهو القادر على أن يجيء ويأتي متى شاء وكيفما شاء؟"..

ونحن بدورنا نسأل شيوخنا بالأزهر؛ أين مَن يتفهم هذا الكلام من الدارمي الذي يحوي إلى جانب قرائن النقل: قرائن اللغة، والعقل.. لكن صدق اللّه: (إنك لا تهدي من أحببت) (القصص: ٥٦).

والى لقاء آخر.. والحمد للّه رب العالمين.



نظرات في كتاب:

الأربعون في مباني الإسلام، وقواعد الأحكام لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (٦٣١هـ - ٦٧٦هـ)

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وصلاة وسلامًا على نبيه المصطفى ورسوله المجتبى محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فهذه نظرات في كتاب الأربعين المسمى: الأربعون في مباني الإسلام، وقواعد الأحكام، المعروف بالأربعين النووية، للإمام الفقيه الحافظ: أبي زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين، النووي الدمشقي، الشافعي، (المتوفى:٦٧٦هـ)، محرر مذهب الشافعية، ومنقحه، ومهذبه، ومصححه، الذي لقبه الذهبي في تاريخ الإسلام بشيخ الإسلام، ومفتي الأمة، قال (١٥ /٣٢٤): «مفتي الأمة، شيخ الإسلام، محيي الدين، أبو زكريا النواوي، الحافظ، الفقيه، الشافعي، الزاهد».

والإمام النووي أشهر من أن يترجم له، فترجمته في الناس مشهورة، وقد أفرده بالترجمة عدد من أهل العلم منهم:

- تلميذه الشيخ الإمام العالم الزاهد علاء الدين علي بن إبراهيم ابن داود ابن العطار الشافعي، (المتوفى: ٧٢٤هـ) في كتاب: تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين.
- وشمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر السخاوي (المتوفى:٩٠٢هـ) في كتاب: المنهل العَذْب الرَّوِيّ، في ترجمة الإمام النووي.
- وجلال الدين عبد الرحمن السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، في كتاب:: المنهاج السوي في ترجمة الإمام النووي.
- وكمال الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن الشافعي القاهري المعروف بـ: ابن إمام الكاملية (المتوفى: ٨٧٤هـ)، في جزء سمَّاه: «بغية الراوي في ترجمة الإمام النواوي.

وغيرهم من فضلاء علماء الأمة الذين ترجموا له.

إعداد: محمد عبدالعزيز

(ينظر مقدمة: تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين (ص ٩ إلى ١٣).

ولذا فإني لن أطيل بترجمته-رحمه الله تعالى-؛ فطلبها سهل ميسور، وسوف ينتظم حديثي في هذا المقال في ستة أمور، وهي:

- أصل كتاب: الأربعون في مباني الإسلام، وقواعد الأحكام.
- سبب تصنيف الإمام النووي للأربعين.
- سبب إكثار الناس من التصنيف في الأربعينات.
- منهج الإمام النووي في تصنيف كتابه.
- ما انتقده أهل العلم من أحاديث الأربعين.
- أهم شروح كتاب الأربعين.
- أهم طبعات الكتاب.

أصل كتاب: الأربعون في مباني الإسلام، وقواعد الأحكام:

أصل الأربعين النووية: أصل هذه الأربعين مجلس أملاه الحافظ أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن المعروف بـ: ابن الصلاح (المتوفى: ٦٤٣هـ)، أملى فيه ستة وعشرين حديثًا من الأحاديث الكلية التي يقال: إن مدار الدين عليها، وما كان في معناها من الكلمات الجامعة الوجيزة.

وقد أخذ الإمام محيي الدين أبو زكريا النووي الشافعي هذه الأحاديث، ثم أضاف إليها أمثالها من الأحاديث الكلية وعددها سبعة عشر حديثًا حتى أتمها: ثلاثًا وأربعين حديثًا، وسماها: الأربعون في مباني الإسلام، وقواعد الأحكام. (ينظر: جامع العلوم والحكم: ١ /٥٦).

وقد وصف النووي هذه الأحاديث بقوله: وكل حديث منها قاعدة عظيمة من قواعد الدين، وقد وصفه العلماء بأنه مدار الإسلام عليه، أو هو نصف الإسلام، أو ثلثه أو نحو ذلك.

وقد أضاف إليها الحافظ ابن رجب ثمانية أحاديث أخرى فصار المجموع خمسين حديثا وقد ذكرها في أول شرحه على الأربعين: جامع العلوم والحكم.
وقد فرغ المؤلف النووي من تأليفها: ليلة الخميس: ٢٩ جمادى الأول سنة ٦٦٨هـ.

سبب تصنيف الإمام النووي للأربعين:

ذكر المصنف سبب تصنيفه لهذه الأربعين بقوله: من العلماء من جمع الأربعين في: أصول الدين، وبعضهم في الفروع، وبعضهم في الجهاد، وبعضهم في الزهد، وبعضهم في الخطب، وكلها مقاصد صالحة، رضي الله عن قاصديها.
وقد رأيت جمع أربعين أهم من هذا كله، وهي أربعون حديثا مشتملة على جميع ذلك، وكل حديث منها قاعدة عظيمة من قواعد الدين، وقد وصفه العلماء بأنه مدار الإسلام عليه، أو هو نصف الإسلام، أو ثلثه أو نحو ذلك.
فقد بيّن رحمه الله تعالى مقصده من تصنيف هذه الأربعين، وهو:
- الاقتداء بهؤلاء العلماء الصالحين.
- أن يحفظ على الأمة طائفة من الأحاديث الجامعة لكليات الشريعة.
- أن يدخل في زمرة من دعا لهم النبي صلى الله عليه وسلم بنضرة الوجه.

من أمثلة هذه المصنفات في الأربعينات:

صنف جمع كبير من أهل العلم مصنفات في الأربعينات، وأول من صنف فيها الإمام عبد الله بن المبارك المتوفى: ١٨١ هـ، كما أفاده النووي في أول أربعينه، وقد ذكر الكتاني في الرسالة المستطرفة (ص ٨٦) طائفة صالحة منها، ومن أمثلة هذه الأربعينات:
١- أربعون حديثًا من مسند بريد، للدارقطني.
٢- الأربعون في التصوف، للسلمي.
٣- الأربعون البلدانية، لمسافر حاجي.
٤- كتاب الأربعين في فضائل ذكر رب العالمين.
٥- الأربعون الصغرى، للبيهقي.
سبب إكثار الناس من التصنيف في الأربعينات:
سبب إكثار الناس من التصنيف في الأربعين:
حديث: من حفظ على أمتي أربعين حديثا بعثه الله يوم القيامة في زمرة الفقهاء والعلماء، وفي رواية: بعثه الله عالمًا فقيهًا، وفي رواية: وكنت له يوم القيامة شافعاً وشهيدًا.
وقد ذكر هذا الحديث ابن الجوزي في العلل المتناهية (١/١١١ /١٦١) من طريق ثلاثة عشر صحابيًا عن: علي، وابن مسعود، ومعاذ بن جبل، وأبي الدرداء، وأبي سعيد، وأبي هريرة، وأبي أمامة، وابن عباس، وابن عمر، وابن عمرو، وجابر بن سمرة، وأنس، وبريدة.
ثم قال: هذا حديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.
و قال الحافظ في التلخيص (٣ / ٢٠٨ / ١٣٧٥): جمعت طرقه في جزء ليس فيها طريق تسلم من علة قادحة.
وقال النووي في مقدمة الأربعين: واتفق الحفاظ على أنه حديث ضعيف وإن كثرت طرقه.
وجعله السخاوي في فتح المغيث (١ /٧١) مثالاً للحديث الذي لا ينجبر بتعدد طرقه.
وحكم عليه الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١٠ /٩٧ /٤٥٨٩) بأنه موضوع.

هل اعتمد النووي على الحديث السابق في تصنيفه للأربعين؟

المصنف رحمه الله تعالى لم يعتمد على الحديث السابق، بل على الأحاديث المبينة لفضل من سمع حديث النبي صلى الله عليه وسلم وبلّغه.
قال النووي: وقد اتفق العلماء على جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال، ومع هذا فليس اعتمادي على هذا الحديث، بل على قوله- صلى الله عليه وسلم- في الأحاديث الصحيحة: «ليبلغ الشاهد منكم الغائب»، وقوله: «نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها، فأداها كما سمعها».

منهج الإمام النووي في تصنيف كتابه:

أهم معالم منهج الإمام النووي في هذا الجزء الحديثي ثلاثة، وهي:
١- ساق النووي الأحاديث في الأربعين محذوفة الأسانيد؛ ليسهل حفظها.
٢- أتبع النووي هذه الأربعين بباب بين فيه غريبها وضبطها، وقد ذكر الغريب على ترتيب أحاديث الكتاب، فيقول مثلاً: الحديث الثاني: «لا يُرى عليه أثر السفر» هو بضم الياء من «يرى «....، وهكذا.

وهذا الباب لا وجود له في كثير من طبعات الأربعين النووية، وكذا شروحها، وقد ذكره صاحب كتاب: الوافي في شرح الأربعين النووية، وهي في آخر طبعة دار المنهاج، وهي من أجود طبعات الكتاب على الإطلاق.

٣- التزم النووي أن تكون الأحاديث التي ساقها النووي صحيحة، ومعظمها من صحيحي البخاري ومسلم.

وقد التزم رحمه الله بشرطه هذا في الجملة، فعدد أحاديث هذا الجزء ٤٣ حديثًا بَعدَّ الحديث السابع والعشرين حديثين، وهي كالتالي:

٢٩ حديثًا من الصحيحين أو أحدهما منها:

١١ حديثًا متفق عليه.

٥ أحاديث انفرد بها البخاري.

١٣ حديثًا انفرد بها مسلم.

ومن باقي الكتب الستة ١٠ أحاديث، وهي كالتالي:

٥ أحاديث من جامع الترمذي.

حديث من جامع الترمذي، وسنن أبي داود.

حديث من جامع الترمذي، وسنن النسائي.

حديث أخرجه ابن ماجه، ومالك، والدارقطني.

حديث أخرجه ابن ماجه، البيهقي.

حديث أخرجه ابن ماجه.

من خارج الكتب الستة أربعة أحاديث، وهي كالتالي:

أ- حديث أخرجه أحمد، والدارمي، وهو الحديث السابع والعشرون: «استفت قلبك؛ البر ما أطمأنت إليه نفسك، وأطمأن له قلبك، والإثم ما حاك في النفس، وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس، وأفتوك».

ب- حديث أخرجه الدارقطني، وهو الحديث الثلاثون: «إن الله عز وجل فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدودًا فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها».

ج- حديث أخرجه البيهقي، وهو الحديث الثالث والثلاثون: «لو يعطى الناس بدعواهم لادعى رجال أموال قوم ودمائهم، لكن البينة على المدعي واليمين على من أنكر». وله أصل في الصحيحين.

د- حديث أخرجه نصر بن إبراهيم المقدسي في: الحجة على تارك المحجة، وهو الحديث الحادي والأربعون: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به».

ما انتقده أهل العلم من أحاديث الأربعين:

وقد انتقد بعض أهل العلم عليه بعض أحاديث هذا الجزء، ومنهم شارحه ابن رجب الحنبلي فقد حكم على ستة منها بالضعف، وهي:

أ- الحديث الثاني عشر: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ». فقد رجح أن الصواب فيه الإرسال.

ب- الحديث التاسع والعشرون: «وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ». وهو من رواية شهر بن حوشب، وفيه اختلاف كثير على شهر، وقد صححه الألباني.

ج- الحديث الثلاثون: «إن الله عز وجل فرض فرائض فلا تضيعوها...».

- هو من رواية مكحول عن أبي ثعلبة، وقد اختلف في سماعه منه.

- اختلف في رفعه ووقفه، ورجح الموقوف.

د- الحديث الحادي والثلاثون: «ازْهَدْ فِي الدُّنيا يُحِبَّكَ اللَّه، وازْهَدْ فيمَا فِي أيدي النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ».

فيه: خالد بن عمر القرشي، وهو منكر الحديث، متهم، ويرويه عن: سفيان الثوري.

وقال العقيلي: ليس له أصل من حديث سفيان الثوري.

هـ- الحديث التاسع والثلاثون: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي: الْخَطَأَ، وَالنِّسْيَانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ».

- مداره على الوليد بن مسلم، وقد رجح ابن رجب إرساله، وصححه الألباني.

و- الحديث الحادي والأربعون: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به».

- تفرد به: نعيم بن حماد، واختلف عليه فيه.

- وهو منقطع بين عقبة بن أوس، وعبد الله بن عمرو.

٤- أن تكون هذه الأحاديث من الأحاديث الكلية في مباني الإسلام، وقواعد الأحكام.

هذا آخر ما يسره الله تعالى في هذا المقال، فإن يكن صوابًا فالحمد لله، وإن تكن الأخرى فأستغفر الله.

لحوم مسمومة

الحمد لله الذي ألف بين قلوب المؤمنين، وجعلهم إخوةً متحابين متراحمين، على الخير متعاونين، وفي سبيل الفضائل متكاتفين، لألسنتهم وجوارحهم حافظين، وعن الغيبة والبهتان مبتعدين، وللفحش والزور مجتنبين، وعن أعراض إخوانهم ذابين ومدافعين، وأصلي وأسلم على خاتم النبيين وامام المتقين، وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين، أما بعدُ:

فمن أهم ما يميز المجتمع الإسلامي: أنه مجتمع مودة وتراحم، وتكاتف وتلاحم، ومحبة وتلاؤم، ولكن فيه من لا تحجزه مروءة، ولا يردعه دين أو أدب، جرَّد لسانه مقراضًا للأعراض بكلمات تنضح فحشًا، وألفاظ تنهش نهشًا، يسرف في التجني على عباد الله بالسخرية واللمز، فهذا طويلٌ وذاك قصيرٌ، وهذا أحمق وذاك جهول، وكأنه قد وُكِّل إليه تجريح عباد الله.

ويزداد الأمر وتعظم البلية حين ترى عليه علامات الوقار، وملامح الاحتشام، وسيمَا الوجاهة، وهيئاتُ العلماء، ومع هذا وذاكَ فلا يتورع عن الخوض في أعراض العلماء؛ رغم أن العلماء هم مصابيح الدجى، وأعلام الهدى، هم النجومُ بهم يُهتدى ويُقتدى، وعلى خطاهم تعيش الأمم على هدى وبصيرة من أمرها بعيدًا عن البدع والخرافات ودروب الجهل الضلال، وهم وارثو علم الرسالة، بهم قام الكتاب وبه قاموا، وهم مثال الاستقامة ومعقل الدين، بالعلم

إعداد: عبده أحمد الأقرع

عاملون، وعلى الحق سائرون، يهدون بالحق وبه يعدلون، استشهد الله بهم دون غيرهم من البشر على أجل مشهود به وأعظمه، «شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ» (آل عمران:١٨)، وشهد سبحانه وتعالى لهم بالخشية، وأخبر سبحانه أنهم أهل خشيته، فقال تعالى: «إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟» (فاطر:٢٨).

وأمر سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يُستشهد بالعلماء على رسالته، فقال تعالى: «وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ» (الرعد:٤٣).

واستشهد سبحانه وتعالى بهم على صحة ما أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم، فقال تعالى: «أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ» (الأنعام:١١٤).

وجعل سبحانه كتابه آيات بينات في صدورهم، قال تعالى: «وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ» (العنكبوت:٤٨، ٤٩).

ونفى سبحانه وتعالى التسوية بين العالمين والجاهلين، فقال تعالى: «قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ

لَا يَعْلَمُونَ» (الزمر:٩).

وأمر تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يكتفي بشهادة أهل العلم ولا يعبأ بالجاهلين، فقال تعالى: «وَقُرْءَانًا فَرَقْنَهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَهُ تَنزِيلًا (١٠٦) قُلْ ءَامِنُوا بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا» (الإسراء:١٠٦، ١٠٨).

وأخبر سبحانه عن رفعة درجات أهل العلم، فقال تعالى: «يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ دَرَجَتٍ» (المجادلة:١١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ما خصَّ الله العلماء في شيء من القرآن ما خصهم في هذه الآية، فَضَّلَ الله الذين آمنوا وأتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم.

وأمر سبحانه بسؤالهم والرجوع إلى أقوالهم، قال الله تعالى: «وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» (الأنبياء:٧).

وبيَّن سبحانه أنهم أصحاب القول الفصل في الآخرة، قال الله تعالى: «وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ (٥٥) وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» (الروم: ٥٥- ٥٦).

وأخبر سبحانه أن المنتفعين بضرب الأمثال هم أهل العلم؛ فقال تعالى: «وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَلِمُونَ» (العنكبوت:٤٣)، كان بعضُ السلف إذا مرَّ بمثلٍ لا يفهمه يبكي ويقول لست من العالمين.

وقد مدحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيَّن قدرهم، فقال عليه الصلاة والسلام: «وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإنَّ الأنبياءَ لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلمَ؛ فمن أخذه أخذ بحظ وافر». (صحيح أبي داود: ٢٦٨٢).

وقال صلى الله عليه وسلم: «فضلُ العالم على العابد كفضلي على أدناكم». (صحيح الترمذي: ٢٦٨٥).

وفي رواية: «وفضلُ العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب». (صحيح الترمذي: ٢٦٨٢).

وقال الإمامان الشافعي وأحمد رحمهما الله: «إذا لم يكن العلماء أولياء الله فليس لله ولي»، ومن وصايا لقمان: «يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك، فإنَّ الله يُحيي القلوبَ بنور الحكمة، كما يُحيي الأرضَ بوابل المطر».

ومع هذا فلم يسلم العلماء من أقوام يحطُّون من أقدارهم ويجترؤون على مقامهم، وينزعون من مهابتهم، ويرفعون الثقة بهم، يطعنون في أعمالهم وجهودهم، ويشككون في قدراتهم وكفاءاتهم، لا يُذكر عظيم إلا انتقصوه، ولا يظهرُ كريمٌ إلا شتموه، ولا يبرزُ صالحٌ إلا اتهموه، يتهمون الثقات، ويقعون في الصالحين، والأشدُّ من ذلك والأنكى، اتهامُ النيَّات، والحكمُ على المقاصد، والتطاول على السرائر التي لا يعلمها إلا الله، وهذا يقلِّل من شأن العلم الذي في صدورهم، والذي يعلِّمونه الناس، فلا يقبل الناس ما يعلمونهم من العلم، وهذا ضرر على الدِّين، فالطعن في العلماء ليس طعنًا في شخوصهم إنما طعن في العلم الذي يحملونه، وبالتالي طعن في الإسلام، والإسلام جاء من عند الله على رسوله صلى الله عليه وسلم.

لذا قيل: إياكم ولحومَ مسمومة.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «من آذى فقيهًا فقد آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن آذى رسول الله فقد آذى الله عز وجل».

وقال الحافظ ابن عساكر: «اعلم وفقنا الله وإياكم لمرضاته، وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته، أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في الانتقام من منتقصيهم معلومة، ومن أطلق لسانه في العلماء بالثلب ابتلاه الله قبل موته بموت القلب، «فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» (النور:٦٣)»، وقال الإمام الطحاوي: «وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر، لا يُذكَرُونَ إلا بالجميل، ومن ذكَرهم بسوءٍ فهو على غير السبيل».

فعليكم إخواني بتبجيل العلماء أهل الفضل والإيمان، ومن عرف لذي الفضل فضلهم فقد ولج طريق الخير، قال صلى الله عليه وسلم: «ليس منا من لم يُجلَّ كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه». (صحيح الجامع: ٥٤٤٣).

واحـذروا الـتـطـاول عـلـى عـلـمـاء الأمـة، فالتجريح بغير حق لا يجوز، ورفض الدليل محرمٌ لا يسوغ، والمنهجُ الحقّ الأخذُ بالدليل مع وافر الحرمة والتقدير لأئمة العلم والدين، ومن كانت له منهم نادرة ينبغي أن تُدْفَن في بحر علمه، وتُنْسَى في جانب عظيم فضله.

قـال الحافظ الذهبي رحمه الله: «لـو أنا كلما أخطأ إمامٌ في اجتهاد في آحاد المسائل خطأ مغفورًا له، قمنا عليه، وبدّعناه وهجرناه، لما سلم معنا لا ابن نصر ولا ابن منده، ولا من هو أكبر منهما، والله هو هادي الخلق إلى الحقّ، وهو أرحمُ الراحمين، ونعوذ بالله من الهوى والفظاظة». اهـ.

ومن ظفر بخطأ عالم فلا يفرح، ولا يتّبع العثرات، ولكن ليصحّح الخطأ، وليبيِّنه إلى الصواب، بالحكمة والموعظة الحسنة، وليحذر التشهير والتشنيع، يحيط ذلك سياجٌ من الخلق الفاضل، في لسانٍ عفيف، ونظر متورِّع، وقبل ذلك وبعده هو بحاجة إلى إخلاص القصد لله وحده، والتجرد للحق، ومجاهدة النفس، والثناء على كل محسن بإحسانه، والتماسُ العذر للمقصر عند تقصيره، وبخاصة أولئك الأعلام الذين يعلمون الناس الخير، وينصرون دين الله، فيجب رفع الملام على الأئمة الأعلام، وألا يظن بهم إلا خيرًا، «لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا» (النور:١٢)، فقد أحسنت نملة حين أحسنت الظن بنبي الله سليمان عليه السلام: «حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» (النمل:١٨)، اعتذرت عنهم، إنهم إن حطموكم، فليس عن قصد منهم، ولا شعور- سبحان الله- هذه نملة أحسنت الظن، فلا تكن- أخي أقل منها في إحسان الظن.

ولا سيما بأهل العلم ورثة الأنبياء، ومن كانت له نادرة ينبغي أن تُدفن في بحر علمه، وتُنسى في جانب عظيم فضله، فالعصمةُ غيرُ مضمونة لأيّ عالم، ولكن المضمون لهم- إن شاء الله- الأجرُ على اجتهادهم- أصابوا أو أخطؤوا، ومن ظفر بخطأ عالم فلا يفرح، ولا يتبع العثرات، ولكن ليصحح الخطأ، وليبينه إلى الصواب، يحيطُ ذلك سياجٌ من الخُلق الفاضل، في لسانٍ عفيفٍ، ونظرٍ متورع، وقبل ذلك وبعده هو بحاجة إلى إخلاص القصد لله وحـده، والتجرد للحقّ، وليحذر التشهير والتّشنيع، ألا فليتق الله من أشغل نفسه بتجريح العلماء وطلبة العلم والتحذير منهم، والأولى أن ينشغل هو بعيوبه التي ربما بلغت عنان السماء، وكَسَتْهُ من مَفْرِق رأسه إلى أخمص قدميه؛ فليعمل على التخلص منها قبل أن ينزل به هازم اللذات فينادي ويقول: «رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ» (المؤمنون:٩٩، ١٠٠)، فيجاب عليه: «كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ» (المؤمنون:١٠٠).

ويـوم القيامة يوم الحسرة والندامة حين يـرى حسناته، إن كـان له حسنات؛ قد نقلت إلى صحيفة من وقع في تجريحهم، والغوص في أعراضهم، والنيل منهم وهو أحوج من غيره إلى تلك الحسنات، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قَالَ هَلْ تَدْرُونَ مَنْ الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ لا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. قَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصِيَامٍ وَصَلَاةٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ عِرْضَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، فَيُقْعَدُ فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ؛ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْخَطَايَا؛ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ» (مسند أحمد:٨٠١٦).

ووقتها «يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا» (الفرقان:٢٧- ٢٩).

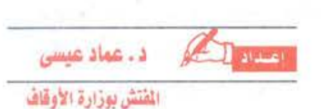
فيا إخـواني: هيا بنا نلتف حول علمائنا، ونسمع منهم ونتعلم عنهم العلم النافع؛ فإن حياة العلماء فرصة، قال صلى الله عليه وسلم: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يُبق عالمًا، اتخذ الناس رؤوسًا جُهالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا» متفق عليه.

اللهم احفظ علماء الأمة الأحياء، وارحم الأمـوات، واحشرنا وإياهم في الفردوس أعلى درجات الجنات مع نبينا سيد ولد عدنان.

الأخوَّة صفةٌ نادرةٌ ولزماننا مغادرة



عقد الأُخوَّة الصحيح لا ينقطع على طول الزمان الفسيح



إعداد د. عماد عيسى

المفتش بوزارة الأوقاف

الحمد لله، وصلى الله على رسول الله، وبعد:

فاعلم-رحمني الله وإياك- أن الأمور بغير العقل تنقلبُ عن سجيَّتها وتبتعدُ عن فطرتِها، وتزول عن موضوعِها فتُحمَّل ما ليس من شأنها أن تحتمله، وتـؤدِّي ما لا يوجب حكمُها أن تـؤديَـه فيكون العقل حلًّا لما انعقد منها ومُزيلًا لشكلها وفاتحًا لمغلقها، ورافعًا لمُقفَلها، وميِّسرًا لمعضلها وفاكًّا لأغلالها، ولا عجب، فنعمة العقل تأتي الخسيس فتشرِّفُه، والضئيل فتفخِّمُه، والخامل فتنوِّه به، والنازل فترفعُه والعاطل فتحليه والمشكل من الأمر فتجليه فسبحانَ من زيَّن ابن آدم به وله الحمد والفضل وصدق الله تعالى حين قال: «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا » (الإسراء: ٧٠).

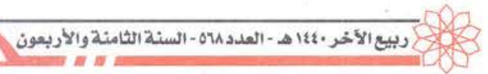
أثر التَّقوى في العقل:

جاء الأمر بالتقوى في مواضع كثيرة من كتاب الله تعالى: «وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ » (البقرة: ١٩٧)، وقال تعالى: «وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ » (الأعراف: ٢٦)، وقال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ » (آل عمران: ١٠٢) وقال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ » (التوبة: ١١٩).

ومن رأى فعل التَّقوى في عقل المرء لم يصحب إلا تقيًّا، ومن تأمَّل أثرَها فيمن حوله لم يـرافقْ إلا من اتَّسم بالتَّقوى واتَّصف بصفات أهلها، بل من شمَّ ريحَ التَّقوى وأحسَّ بأثرها ووجدَ رُوحها مَجَّت نفسُه من كان على غير ذلك، وأدركتْهُ أنفةٌ لا يستطيع لها ردًّا، ولا يملك من نفسه لها دفعًا، ومن هنا يدرك قيمة الوصية النَّبوية السديدة بترك مصاحبة غير المؤمن، عَنْ أَبِي سَعِيد، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ». (رواه أبو داود ٤٨٣٢، وحسنه الألباني).

وَالعربُ تمدَحُ الرجُل إذا كان عاقلًا مُمَيِّزًا واسعَ الإدْرَاك حَصيفًا فتقول: فلانٌ ذو حَصَاة وأَصَاة، وَلا يختلفُ أحدٌ في أنّ التقوى إذا دخلت على العقل تُورثُه زيادةً واتّساعًا، وإذا كان الشيءُ يَعبق برائحة ما يجاوره، وينصبغُ بلون ما يُدانيه ويقاربُه، فاعلم أنّ العملَ الصالحَ والتقوى لهما أثرٌ كبيرٌ في اكتمال عقل العبد وتوفيقه إلى اختيار الصواب وإحكام الجواب وما أجمل مقالة نبي الله شعيب عليه السلام حين قال لقومه: «وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ » (هود: ٨٨).

ومن هنا أحسن بعض العلماء الجواب حين سئل: مَنْ أعقَلُ الناس؟ فقال: الزهاد، وهذا جوابٌ محكمٌ وقولٌ سديدٌ؛ لأنّ الزاهدَ أتقى الناس لله وأنقاهم للناس وذلك لعلمه بقلة الدُّنيا، وحَقارة شأنها، وضآلة متاعها،



وسُرعَة انقضائها، لذا لا يطول فيها أملُه ولا يتعلق بها قلبُه، وهذا أصلٌ مهمٌ في جوْدَةِ العقل وكماله.

ومن هنا صحَ القول بأن العقل يزيد بالطاعة حتى تنشأ للعبد به بصيرةٌ يرى بها الحق حقًا ويُعان على اتّباعه، وينقص -أي العقل- بالمعصية فيَرَى الحقّ باطلًا ويُحرم اتباعَه ويرى الباطل حقًا ويَقْوى على فعله، ويُنوَّر بالحسنة حتى يكونَ نورًا على نور ويُطفأ نورُه بالسيِّئة حتى يكون ظلمات بعضها فوق بعض، فإذا وجدتَ عاملًا بالخير والحسَنَات فالزمْهُ فهو من أولي الألباب، فعندهُ من البصيرة ما يُلهِمُه الصواب، ويدلُه على الرُّشْد، وإذا وجدتَ عاملًا بالشرّ والسيّئات فدعْهُ ولا تطعْهُ لئلا يرديك.

وكما أنّ نورَ الطّاعة يُبارك العقْل ويجعلُ المرءَ يَرَى الحقَّ حقًا فيَتْبَعَه والباطلَ باطلًا فيردعُه ويغلبُ شيطانَه ويصرعُه، وكما أن تقديمَ الرأي على الوحْي يعطِّله، فكذلك تقديمُ الهوى على العقل يُفسده ويُتلفُه.

فبركةُ الطّاعة على عقْل المؤمن أمرٌ لم يزلْ العلماء يقضون بصحّته ويرَوْن الأخْذ بسُنَّته لأنّه بالعمل الصالح يستقيم لأهل الدّين دينُهم، ومن سلمَ له دينُه واستقام عليه فقد أصبح من أحَبِّ الخلْق إلى الله تعالى.

أمّا فَقْدُ التَّقْوى وقلةُ العمل الصالح فهي متلفةُ العقل ومنقصَةٌ له بل تلحقُهُ نقائصُ الغيِّ والضلال وتُدركه الضَّعَةُ والخَبَال لأنه لا يجدُ من العقْل ما يَحْبسه على جدِّ الأمْر ولا ما يقفُ به عند الزَّجْر بل ربّما تمادى به نقصُ عقله حتى يكونَ كالبهائم العجْمَاء لا ينفعُها نُصْح ولا يضرها قُبْح بل لا يردعهم إلا ما يُوجع من حدِّ الحديد وسَطْو البأس الشديد فلو لم توضع على أعناقهم السُّيوف ولو لم تُطلق فيهم الحُتُوف لما ارتدَعُوا.

من أوصاف الصاحب العاقل:

إنّ العاقلَ يكونُ في أمره كلّه قصدًا وسطًا عوانًا في كل شيء بين طرفي قصد الأمور فتراه في مدْحه عدلًا وفي ذمّه عدْلًا، فلا يحمله الميل على الإفراط، ولا يدفعه الهوى إلى التّفريط، فهو منصفٌ لا يَحيف، وعادلٌ يميل ولا يَجْنف، لا سيّما في زمانٍ الإنصافُ فيه قليلٌ، والإقرارُ بالحقّ والاعترافُ به ثقيلٌ.

إنّ الصاحبَ العاقلَ لطيفُ الرُّوح، صادقُ اللهْجة، كريمُ المواساة حاضرُ البديهة، كما أنّه حسنُ العشْرة، موطّأُ الأكناف، عفُّ الخصومة إذ له مُسكة من أدب، وحظٌّ من جَودة طَبْع.

أما الصاحبُ الّذي بضدِّ ذلك فلا يصلحُ فسادُه مع الأيّام لفساد طويَّته، ورداءَة داخلَته وخلَّته، وغلبَة طبْعه السّيِّء، فمثْلُ هذا الصِّنفِ لا تصحُّ معاملتُه إلّا بجفْوة وصُرم وإعراض ومُدابَرة لأنه لا يتغيَّر مع طول الأيّام، وهل يكونُ الغثُّ يَوْمًا سَمينًا؟!

ثمّ إنّ الصاحبَ إذا لم يكنْ عاقلًا تجدُه محرومًا فلو بلغ الرزقُ فاهُ لولّاه قفاه، وإنَّ من بلاء الزمان غلبةَ الجهل والسفه على الطّباع وذهابَ من يعملُ بما يقْتضيه العقلُ الرجيح والفهم الصحيحُ، ويُذْعن له ويطّرح الهوى ويصبُو إلى الجميل ويأنفُ القبيح، إن ذهابَ العقل أو بطلانَه وخروجَ النّاس عن سُلطانه ويأْسَ الفطن الأريب أن يصادفَ عندهم سمعًا يعي أو فَهْمًا يستوعب أو عقلًا يُراعي حقيقةَ الاحتياج إلى ما يرفَعُ المعرَّة ويجتلبُ المسرَّة وينْفي المضَرَّة.

ومِنْ أجَلِ فوائد العقل أنّ الوحيَ المباركَ يمهّد له القواعدَ ويُحْكم له العُرَى والمقاعد ثم يتركه في فَتْح المفاتح وقدْح القرائح وتفجير ينابيع الفوائد واستدعاءِ العوائد وحينئذ تجد الخيرَ الذي لا ينتهي، وتشعر بالبركة التي لا تَنْقضي، وهذا من بركة

متابعة منهاج النبُوّة والأخذ بمعالم سبيل المؤمنين فإنّ أهل الأهواء جعلوا بين الوحي والعقل مشاقّة، واتبعوا غير سبيل المؤمنين، واتّخذوا العقلَ مطيّةً للمُحادّة، فلم يتّبعوا الوحيَ المنزّل، ولم يستفيدوا من العقل المذلّل، فخسروا الفضيلتين ونزلوا عن المنزلتين والله المستعان.

واعلم أنّ مصاحبةَ العاقل أسرعُ للإلف وأدومُ للمحبّة وأهزُّ لعطف المودّة.

إنَّ الصاحبَ العاقلَ ينتدبُ نفسَه دونك مُناضلا وينتصبُ عن عرضك مُجادلا ويبتدرُ لمحاسنك ناقلا، إنه شافعٌ تُدركُ به حاجتَك ومُعَزٍّ يردُّ الأحزان وواعظٌ ينهاك عن القبيح وناصح يدعوك إلى الحَسَن.

إنّ من أهمّ صفات الأخ العاقل والصاحب الفاضل أن يعترفَ بإحسانك ويقدّرك حقّ قدرك، ولا يُنكر جميلَك، ويعترف بمعروفك لا رياءً ولا نفاقًا، وإنما برًّا ووفاءً وعرفانًا وامتنانًا، ومثل هذا تجودُ بنفسك من أجله، وتبذلُ له روحَك على كفّك وأنتَ راضٍ قريرُ العينِ؛ لأنّه كالشّفاء من موضع السّقَم والدواء لمكان الداء، فإذا رُزقْتَ صحبةَ مثل هذا - والصحبةُ رزقٌ - فعُدَّه كنزًا من الكُنُوز التي لا يجوز التفريطُ فيها، وحصنٌ حصينٌ تلجأ إليه وقتَ احتدام الشّدائد كما قيل:

ما حَكَّ جلدَك مثلُ ظُفرك
فتولَّ أنت جميعَ أمرِك
وإذا بُليتَ من الزّمان بحاجة
فاقصدْ لمُعترف بقدرك

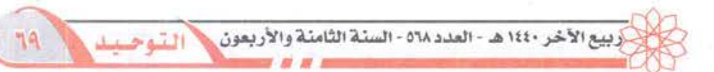
حينما دعا النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر فأسلم على يديه كانت بينهما صحبةٌ وفيّة، وأخوةٌ وثيقةٌ قويّةٌ، ومع ذلك كان صلى الله عليه وسلم يعترف لأبي بكر بفضل الصحبة لما قام به الصديق من خدمة رسول الله عليه وسلم وبذل الغالي والرخيص من أجل دعوة الإسلام فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذًا بِطَرَفِ ثَوْبِهِ حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ» فَسَلَّمَ وَقَالَ: إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الخَطَّابِ شَيْءٌ، فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ ثُمَّ نَدِمْتُ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي فَأَبَى عَلَيَّ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ، فَقَالَ: «يَغْفِرُ اللهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ» ثَلاَثًا، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ، فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ، فَسَأَلَ: أَثَمَّ أَبُو بَكْرٍ؟ فَقَالُوا: لاَ، فَأَتَى إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَلَّمَ، فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَمَعَّرُ، حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَاللهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ، مَرَّتَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي» مَرَّتَيْنِ، فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا. (رواه البخاري في المناقب: ٣٦٦١).

وأعيذُك بالله من صاحب يأخذ مالَك، وينتفعُ برفدك وعطائك ثم يمكرُ ويغدرُ ويُنكرُ ويفجُر فإن هذا حقودٌ ذو قسوة حسودٌ بل هذا جهد البلاء ودرك القضاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء.

لَحَى اللهُ مَن لا ينفع الوُدُّ عنده
وإنْ حبلُهُ مُدَّ غيرُ متين
ومن هو ذو لَوْنَين ليس بدائم
على العهْد خَوّانٌ لكل أمين
ومَنْ هو عند العيْن أمّا لقاؤُهُ
وأمّا غيبُهُ فظنُون

وبالجملة فيا أخي إن كنت صادق الأخوة فاصدقْ في مودَّتك وأظهرْ الخيرَ والبرَّ واسْعَ في قضاء حوائج إخوانك قدرَ المسْتَطاع فإذا فعلتَ كنتَ حارسًا لهذا العقْد من النقْض والنَّقْد وحارسًا له من أطماع الشّياطين إنسًا وجنًّا أن تلجَه أو تَنْقُضَه.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.





الحوار في الإسلام.. آداب وفنون

إعداد
د. ياسر لمعي عبد المنعم
أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية المساعد
جامعة التضامن الفرنسية العربية

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونستلهمه سبحانه الرشد والصواب، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

كم أنعم الله علينا من نعم، وكم أفاض علينا من جود وكرم، ومن هذه النعم أن خلقنا، واستخلفنا في الأرض، وانتدبنا لتعميرها قال تعالى: «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً» (البقرة: ٣٠). أي يخلف بعضهم بعضًا. وقال سبحانه: «هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا» (هود: ٦١)، وإن من مستلزمات الاستخلاف في الأرض: التحادث، والمخاطبة، والحوار؛ لذا فمن المفيد أن أبدأ بالحوار، باعتباره فنًا من الفنون، له أسسه ومبادئه، وله مهاراته وخصائصه.

فهيا بنا نتعلم هذه الأداة بشيء من المنهج العلمي، ثم لنستعرض معًا هدي النبي صلى الله عليه وسلم في الحوار، فإنه لا غنًى لنا عنه في أعمالنا، وبيوتنا، واجتماعاتنا، وحياتنا كلها.

والآن.. نقف مع الحوار وقفة تأمل وتأنٍ، بادئين بفن الحوار وأدبه.

يُبنى الحوار البَنَّاء على عدة قواعد أساسية، لعل من أبرزها ما يتعلق بـ:

١- مادة الحوار.
٢- صفات المحاور.
٣- المنصت (الطرف الآخر).

أولا: مادة الحوار وهي:

تعني لبّ الموضوع المطلوب مناقشته؛ حيث لابد أن تكون مادة الحوار معلومة الهدف، واضحة الملامح.

تحليل عام للموضوع المطلوب طرحه، وذلك بـ:

أ- إعداد مقدمة منطقية (ما الذي نريد طرحه وتبصير الآخر به من خلال الحوار؟).

ب- ما هي النتيجة التي ينبغي أن نصل إليها معًا من خلال الحوار؟

٣- أن يكون الحوار ونتائجه مشروعًا، فيما لا يغضب الله، فلا يكون مثلًا: في الغيبة، والنميمة، والحث على الفساد.

٤- أن يكون الحوار بلغة مفهومة بين الطرفين.

٥- أن يُجرَى الحوار في الموضع والوقت المناسبين.

٦- أن يأخذ الحوار المدة التي يستحقها فلا يزيد وقته، ولا ينقص.

ثانيا: صفات المحاور:

ينبغي للمحاور أن يتحلى بمجموعة من الصفات المعينة على نجاح حواره، وللمحاور أقول:

أخلص نيتك لله: بأن يكون الحوار لله، ابتغاء مرضاته؛ وطلبًا لثوابه، وتجردًا للوصول إلى الحق.

لا تستطرد: لا تشعُب موضوع المناقشة، فإنه

مضيعة للوقت، ومباعدة بين القلوب.
كن حنونًا؛ لأن كسب القلوب أهم من كسب المناظرات والمواقف.
جامل ولكن بصدق؛ جامل الناس تَحُزْ رِقَ الجميع، رب قيد من جميل وصنيع!
ربط آخر الحديث بأوله.

ثالثًا: صفات المستمع:

هذه بعض الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها المتحاورون في حواراتهم، وللمحاور أقول:

١- جهِّز نفسك لعملية الإنصات، ولا تشغل نفسك بما يبدد انتباهك لكلام الطرف الآخر.
٢- لا تقاطع المحاور وأعطه فرصة كافية للتعبير.
٣- حاول أن تفهم كل ما يقوله محدثك، واستفسر عن كل ما تفهمه، ولكن في الأوقات المناسبة.
٤- لا تجعل مشاعرك تؤثر في آرائك.
٥- اصغ بهدف الفهم والاستيعاب، وليس بهدف المناقضة والرد.
٦- لا تُصدر أحكامًا مبكرة بينك وبين نفسك.
٧- كن منشرح الصدر عند الاستماع إلى الآخرين.

يبدو أن الناس يختلفون في طرائق معالجتهم لحل المشكلات والخلافات، ومن ثم؛ نجد الأستاذ الدكتور/ سلمان بن فهد في كتابه: (أدب الحوار) قد قسم الناس إلى صنفين وَفق رؤيتهم لحل الخلافات.

فمن الناس من يرى أن:

الحرب:

فالحرب قد تكون-أحيانًا- وسيلة لحل الخلاف، وإنهاء الخصومات، وإثبات الحجة، إلا إنها لا تصلح أن تكون الحل الأول أو الأوحد في ذلك.

الحوار:

وهو كما ذكر المؤلف يُعَدُّ أقوى من السلاح في تأثيره؛ حيث إنه يخاطب العقل والقلب، لا الجسد والعضلات.

وللحوار قواعد وأصول يجب أن نتدارسها معًا؛ إذ من الضروري أن يتلقَّى المسلم-خاصة الداعية إلى الله- أسس الحوار وأصوله، في عالم يموج اليوم بالنظريات الكافرة والاتجاهات المنحرفة، فلا غرو أن أصبح الحوار فنًّا يدرس-أحيانًا- باسم: فن الجدل، وأحيانًا يسمونه: فن المناظرة. إضافة إلى فنّ آخر له علاقة كبيرة بالموضوع، وهو ما يسمَّى بفن العلاقات العامة، الذي تقام فيه دورات لكثير من الموظفين، والمتخصِّصين في العلاقات العامة، والدعاة، وغيرهم.

وإليك بعض القواعد المهمة لنجاح الحوار وتفعيله:

القاعدة الأولى: تحديد موضوع الحوار:

ينبغي أن يدور الحوار حول مسألة محددة، فإن كثيرًا من الحوارات تكون جدلًا عقيمًا، ليس له نقطة محددة ينتهي إليها، فينبغي أن يكون الحوار أو الجدل «بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» حول نقطة معينة، بحيث يتم التركيز عليها، ولا يتعداها الحوار حتى يُنْتَهى منها.

القاعدة الثانية: مناقشة الأصل قبل الفرع:

ينبغي ألا يتم التناقش في الفرع قبل الاتفاق على الأصل؛ إذ إن مناقشة الفرع مع كون الأصل غير متفق عليه، تعتبر نوعًا من الجدل العقيم إلا في حالات معينة.

مثلاً: فلو جاءك كافر لا يؤمن بيوم الحساب، وأخذ يناقشك في قضية حجاب المرأة المسلمة-مثلًا- أو في قضية تعدد الزوجات هل هذا يعقل؟

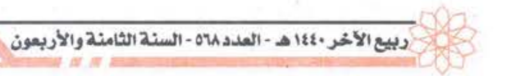
القاعدة الثالثة: الاتفاق على أصل يُرجع إليه:

فيجب الاتفاق على أصل يرجع إليه المتحاورون إذا وُجد الخلاف، واحتدم النقاش، وذلك كالاتفاق على الرجوع عند الاختلاف إلى القرآن الكريم، وإلى صحيح السنة، وإلى القواعد الثابتة المستقرة، أو إلى ما كان عليه السلف الصالح رضي الله عنهم المهم أن نتفق على أمور تكون مرجعًا عند الخلاف كل موضوع بحسب فنه.

صفات المحاور الناجح:

أولًا: جودة الإلقاء، وحُسن العرض، وسلاسة العبارة:

وقد كان ذلك من صفات الرسول صلى الله عليه وسلم كما جاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يحدِّث حديثًا لو شاء العادُّ أن يحصيه لأحصاه،



لم يكن يسرد الحديث كسردكم». فعلى المحاور أن يكون هادئًا سلسًا، جيد الإلقاء، منضبط المخارج والنفس، ذا بصر، مبتسم الوجه.

ثانيًا: حُسن التصور:

والمقصود من حُسن التصور، ألاَّ تكون الأفكار عند المتحدث مشوشة، أو متداخلة، أو متضاربة، فبعض الناس -لضعف تصوره- ربما يطرح فكرة أثناء النقاش، وبعدما ينتصف في شرحها يتبيَّن له أنها غير صالحة، ولا تخدم الغرض، فينتبه في منتصف الطريق بعدما يكون قد تورَّط في ذلك.

ثالثًا: ترتيب الأفكار:

فالقدرة على ترتيب الأفكار، وتسلسلها، وارتباط بعضها ببعض، وعدم تداخلها، أو اضطرابها، مما يثبت حجة المحاور ويقويها.

رابعًا: العلم:

ينبغي أن يكون المحاور ذا علم وقوة وقدرة، فإن بعض المحاورين قد يخذل الحق بضعف علمه، فرغم أن الحق معه، إلا أنه لم يدعمه بالعلم القوي، فيضع نفسه في غير موضعه.

لذلك فليس كل إنسان مهيَّأ للحوار، حتى وإن كان صاحب حقّ، فإنه ربما حاور بهدف نصر الحق فيخذل الحق؛ لضعف علمه وبصيرته، وربما حاور بجهل فيقتنع بالباطل الذي مع خصمه.

خامسًا: الفهم مع العلم:

لا بدَّ من الفهم وقوة العقل؛ ليدرك المتحدث حجج الخصم، ويتمكن من فهمها، ويعرف نقاط الضعف والقوة فيها، فيقبل ما فيها من حق، ويرد ما فيها من باطل.

سادسًا: الإخلاص:

فينبغي التجرد في طلب الحق وتوصيله إلى الآخرين، بحيث لا يكون همُّ المرء الانتصار لرأيه، وإنما همه طلب الحق وإيصاله للآخرين.

سابعًا: التواضع:

فالتواضع أثناء المناقشة، أو بعد الانتصار على الخصم، من أهم ما ينبغي أن يتحلى به المحاور، وتذكر قوله تعالى: «وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ».

وللحوار آفات وعقبات نذكر منها:

أولًا: رفع الصوت:

فكأن الإنسان في غابة تتهارش فيها السباع، ومن لم يكن ذئبًا أكلته الذئاب، فيرى أن انتصاره في الحوار لن يكون إلا عن طريق مبالغته في رفع الصوت على خصمه، والله تعالى يقول: «إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ» (لقمان: ١٩).

ثانيًا: أخذ زمام الحديث بالقوة:

وذلك لئلا تدع للخصم فرصة يتحدث فيها، فيهدم بناءك الهش، أو يحطم حججك الزجاجية، أو يثير البلبلة في نفوس الناس.

وكأننا في ذلك قد أخذنا بمبدأ الكلمة التي قالها (دايل كارنيجي) في كتابه: (كيف تؤثر في الناس وتكسب الأصدقاء)؛ إذ قال: إذا كنت تريد أن ينفض الناس من حولك، ويسخروا منك عندما توليهم ظهرك وتتركهم، فإليك هذه الوصفة: لا تعطِ أحدًا فرصة للحديث، تكلم بدون انقطاع، وإذا خطرت لك فكرة بينما غيرك يتحدث، فلا تنتظر حتى يتم حديثه، فهو ليس ذكيًّا مثلك! فلماذا تضيع وقتك في الاستماع إلى حديثه السخيف؟ اقتحم عليه الحديث، واعترض في منتصف كلامه، واطرح ما لديك. (بالطبع هذه وصفة سهلة لمن أراد أن يمتطي فرس البغض والكراهية من الناس).

ثالثًا: تهويل مقالة الطرف الآخر:

إن البعض يهوِّلون أقوال الآخرين، ويحمِّلون كلامهم من الضخامة ما لا يخطر إلا في نفوس مرضى القلوب، لماذا؟ لئلا يتجرأ أحد على القول بمثل ما قالوا، أو نصرة ما ذهبوا إليه.

رابعًا: الاعتداء في وصف الطرف الآخر:

فتصفه بما لا يليق من الأوصاف؛ تأديبًا له وردعًا لأمثاله، فتقول: هذا جاهل، سخيف، حقير، متسرِّع، وأضعف الإيمان أن تصفه بأنه ليس أهلًا لهذا الأمر. ولا يكفي هذا فحسب؛ بل لابد من كشف نية هذا الإنسان، فتتهمه بفساد نيته، وسوء طويته، وخبث مقصده؛ بل قد تتهمه بأنه عدو مغرض!

هذا وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.




تمور الطحان
أصالة الزمان
جئنا لنتفوق ..
وعليك أن تتذوق
ISO 22000
عسل التمر
DATES HONEY
طبيعي ١٠٠٪
Safety Seal
بكل فخر صنع في مصر
علامة الجودة
www.altahhandates.com
(+2) 01067717725
Altahhan.goldendates
محافظة الوادي الجديد
خدمة العملاء
01284447778
01128911113
قلعة صناعة التمور فى مصر